خنساء شنقيط

خديجة (دَيَّه) بنت سيدي ولد آدب

بين الرثاء والغناء

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
- التراث الكنتي البوسيفي -
(أدبيات أهل آدب) - (5)

- **الكتاب:**
  خنساء شنقيط
  خديجة (دَيَّه) بنت سيدي ولد آدب
  بين الرثاء والغناء
- **المؤلف:**
  أدي ولد آدب

- **عدد الصفحات:** 80 صفحة
- **مقاس:** 16×24 سنتم
- **الطبعة الأولى:** مراكش 1442هـ/ 2020م
- **الكلمات المفاتيح:** التراث الكنتي، أدبيات أهل آدب، تراجم، نصوص شعرية
- **الحقل المعرفي:** الآداب/ / الأدب الموريتاني/ تراجم
- **ديوي:** 800

رقم الإيداع القانوني: 2020 MO 4426
الرقم الدولي: 978 – 9954 – 618 – 88 – 2

جميع الحقوق محفوظة © 2020- المغرب

الناشر:

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،
4/ 483 الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش - المغرب
(212) 05 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email: afaqedit@gmail.com

تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق - مراكش – المغرب
الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش – المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال.

سلسلة التراث الكنتي البوسيفي
(أدبيات أهل آدب)
(5)

خنساء شنقيط

خديجة (دَيَّه) بنت سيدي ولد آدب

بين الرثاء والغناء

أدي ولد آدب

إهداء

إلى خديجة بنت سيدي بن آدب

شاعرة وادي النبط، ذات الوهب والكسب، وريثة الشعر عن سلالة لا كلالة، **سكينة** بنت الحسين يوم أدب وغناء، **خنساء شنقيط** يوم حزن ورثاء، المعبرة عن وجهي الحياة بقولها:

لا بُـدَّ مِـنْ فَـرَحٍ يَوْمًـا، ومِـنْ تَـرَحٍ فشِـيمَةُ الـدَّهْرِ: إحْـلَاءٌ وإمْـرَارُ

الفهرست

إهداء 7

أولا: خديجة بنت آدب: حلقة من سلسلة 11

ثانيا: بطاقة هوية الشاعرة: بين الوهب والكسب 15

ثالثا: وراثة الشعر: عن سلالة لا عن كلالة..... 23

رابعا: شاعرة وادي النبط: الموطن والمدفن 37

خامسا: خنساء شنقيط بين الرثاء والغناء 43

سادسا: شاعرة التوبة والدعاء 55

سابعا: خلاصات خاطفة..... 61

ثامنا: الديوان..... 65

أولا

خديجة بنت آدب
حلقة من سلسلة

قبل **خمس وعشرين سنة**، من الآن خططت أول حرف من هذا الكتاب، حيث وجدت نفسي ذات يوم من شهر مارس 1995، أغتنم فرصة عيد المرأة يوم ذاك؛ لأسلط بعض الأضواء الخافتة، والخاطفة، على هذه الشاعرة الموريتانية، التي لم تشر إليها الكتب المنجزة عن تراثنا الأدبي، قبل هذا التاريخ، في الوقت الذي أشارت إلى نماذج قليلة من الشواعر الشنقيطيات، لسن أحق منها بالذكر، لا من حيث كم الشعر ولا كيفه، وقد وصفتها في ذلك المقال يومئذ بـ: خنساء موريتانية مجهولة[1].

وقد قلت هناك: إن البحث – في حقيقته– هو تجشم اكتشاف المجهول، وليس اجترار المعلوم، وبناء عليه فإنَّ كل ذلك الصمت كان أكبر حافز لي على أن أنصف هذه المرأة – بعض الشيء– بتقديم مجرد ومضات خافتة حول حياتها، ونماذج من شعرها، ما أزال قيد تجميع بقاياها من تلافيف ذاكرة الزمن المعرضة للرشح والتآكل باستمرار...

وهكذا بقي هذا المشروع – بعد إعلان مولده– في سبات عميق، طيلة عقدين ونصف من الزمان، انتهى فيها قرن، وابتدأ قرن، وسالت مياه كثيرة

[1]– **أخبار الأسبوع**: العدد81– 12/ 03/ 1995، ص 10.

- خلال ذلك تحت الجسر- لتسنح- أخيرا- فرصة، طال انتظارها، بإنجاز هذا البحث اليوم، آخذا موقعه، ضمن سلسلة **"أدبيات أهل آدب"** التي تأخر إنجازها هي الأخرى طيلة المدة نفسها أو أكثر.

وهكذا سنبني تصورنا عن الشاعرة: **خديجة بنت سيدي بن آدب**، في ضوء تعالق جوانب شخصيتها مع الأجزاء الأربعة المنجزة، ضمن هذه السلسلة، بحيث نرى **شاعريتها** في ارتباطها بـ **"أهل آدب: سلالة الشعر، وبيت القصيد"**[1]، باعتبار **"الشاعرة وارثة عن سلالة، لا عن كلالة"**، فهي تنتمي إلى أحد بيوتات الشعر الراسخة الجذور، الشامخة الفروع، أجدادا، وأبناء، وأحفادا عبر القرون والأجيال.

كما أنها من **الناحية الروحية** تتأطر ضمن الكتاب الثاني: **"المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب"**[2]، حيث تتجه أسلحة التربية والإصلاح، إلى الذات تخلية من الرذائل، وتحلية بالفضائل، قبل أن تتجه إلى الخارج، إلى الآخرين، باعتبار هذا هو الطابع المميز للمشيخة الآدبية، في محيطها، وفي سلالتها وسلسلتها الروحية **المعرفية والعرفانية**.. إذ سيتجلى ذلك من خلال **تموقع الشاعرة** خديجة بنت آدب، **في منطقة الجذب** بين طرفي ثنائية: **"الوهب والكسب"**، وفي منطقة الجذب بين **البسط والقبض**، بين عشق **الجمال**، وخوف **المآل**، بين **السلوى والتقوى**.

وبقدر ما كانت **شاعرتنا ابنة** أبيها: **"سيدي بن آدب: رمز الفتى الكنتي، فارس القلم والمدفع"**[3]، محور الكتاب الثالث، كانت **ربيبة** عمها: **"الشيخ أحمد ولد آدب: شيخ المشايخ**، وقطب الشعراء، في كنته الغربيين"[4]، محور الكتاب الرابع، حيث ترك كل منهما بعض بصماته، في ذات الشاعرة، وتجربتها، فكانت

---

[1]- أدي ولد آدب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020 م.

[2]- أدي ولد آدب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

[3]- أدي ولد آدب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

[4]- أدي ولد آدب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

- بجدارة- محور هذا الكتاب الخامس مستحقة الإفراد، **لتفردها في هذه السلالة بصيغة التأنيث**، التي تملك منجزا، يمثل إضافة نوعية لتراث القوم، و**حلقة** هامة من سلسة **"أدبيات أهل آدب"**، ضمن **التراث الكنتي البوسيفي**.

وما دام هذا الكتاب- مثل الكتب السابقة عليه- حلقة ضمن سلسلة عامة، متشابكة الأواصر، في جدلية النسب والأدب، فلن يكون غريبا أن تتداخل المواد ضمن الأجزاء، فالكتب أيضا ذرية بعضها من بعض، غير أن لكل منها أطروحة، خاصة به، تقتضي استقلاليته.

ثانيـــا

بطاقة هوية الشاعرة
بين الوهب والكسب

إنها **خديجة** بنت سيدي بن آدب، المعروفة بلقبها: **"ديه"**، التي توفيت حوالي 1968م، وقد **عاشت** عمرها معززة مكرمة، ما بين ولايات: تگانت، والبراكنة، والحوضين: الشرقي والغربي، حيث يعتبر هذا الفضاء الواسع هو **الامتداد المكاني الاجتماعي لأسرتها**، ففي **تگانت** يوجد عمها عميد الأسرة – بعد أبيها– **الشيخ أحمد بن آدب**، وفي **البراكنة** يتمركز أخوها **حم بن سيدي ولد آدب**، وفي **الحوض الغربي**: توجد أسرة عمها **محمد لحوار** بن آدب، وفي **الحوض الشرقي** يوجد **سيدي** الابن البكر لعمها **الشيخ أحمد**، لقد كنت خديجة **سيدة مجتمع** مكرمة معززة، أينما توجهت من فضاءاتها الأسرية المترامية الأطراف، وهي **مشهورة بحب الأدب**، وتعاطي الشعر الفصيح والشعبي "الحساني"، **حتى ليعتبر مجلسها** – أينما حلت– **صالونا أدبيا**، تساهم هي في مطارحاته، مع من لا تجد حرجا أخلاقيا، ولا مانعا دينيا في مساجلاتهم... هذا مع أن الجميع يكاد يتفق على أنها لم تكن تعرف قواعد النحو، ولا العروض، بشكل تقني؛ لأنها لم تتلق تعليما محظريا نظاميا، متمثلا في كتابة المتون، اللغوية، والدواوين الشعرية، وحفظها ودراستها على يد الشيوخ المختصين، وهي لم تكن بدعا من **"الأسطورة المؤسسة"** لأسرتها، التي تؤمن بأن تعليمها وهبي، لا كسبي، ومعارفها ومواهبها "لدنية" (من لدن

الله)، وليست بمقاساة التعلم على المشايخ، وهكذا كانت هذه السيدة **تعتمد على سليقة ثقافية فطرية**، أشبه ما تكون بسجيات العربيات الأصيلات، وربما يكون **عامل الوراثة، والبيئة الأسرية المتشبعة بثقافة العصر**، كسبا ووهبا، أكبر فاعل في تكوينها الثقافي، والتربوي، والأدبي، **فجدها "آدب"**، كان أخوه الأكبر: **مُحمد "ويقي"** بن سيد الأمين، يقول لشيْخِيهِ في الحَضْرة المُخْتَارِيةِ الكنْتية بـ "أزواد"، إنَّه لا يدْرسُ العلومَ، ولا التَرْبيةَ الصُّوفيةَ، لنفْسه، بقدر ما يخدمُ بالنِّيَابةِ عن شقيقِه الأصْغر الذي بقي وحيدا يعْتنِي بعائلتهم، في الوقْتِ الذي تفرَّقَ من حوْلِه، كلُّ أقاربه- طلبًا للمَعرفةِ والعِرْفان- باتجاه أهْل الشيخ سيدي المختار في الشرْق، أو أهْل الشيخ سيدي- فيما بعد- في الغرْب، وهنا تؤكد هذه السردية الكراماتية أن آدب تميز عن بقية إخوته، وآله آباءً وأعماما، بعدم الرحلة في طلب العلم، رغم ما رزقه الله من المعرفة والعرفان، مما لم يُوجِفْ عليه من خيْلٍ ولا رِكاب، وهنا يسوقُ **سيديَّ بن آدب** - في حِجَاجه لأخيه **محمد لحوار- مفهومه لحقيقة العالم والعلم عموما، والعلم اللدني** خصوصا، و أسباب نيله؛ إذ (**ليس العالِمُ منْ يَحْفَظُ**، وإلا لَصَارَ جاهلا، **وإنَّما العالِمُ الذى يأخذُ علْمَه من ربِّه**، أيّ وقْتٍ شاءَ، بلا تحْفيظٍ، ولا درْسٍ، وهذا هو **العالِم الرَّبَّاني**، وإلى مِثْلِه الإشارةُ بقوْله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾[1]، مَعَ أنَّ كلَّ عِلْمٍ من لَدُنْهُ، ولكنَّ بعْضه بوسائطِ تعْليم الخَلْق، ولا يُسمَّى ذلك عِلْمًا لدُنِّيًا، بل **العلْمُ اللَّدُنِّيُّ الذي ينفتحُ من سِرِّ القلْب، من غيْر سببٍ مألوفٍ** من خارج. وبالجُمْلَةِ، **فالتَّقْوَى** رَأْسًا، **والعِلْمُ الناشِئُ عنْها**، إنَّما يُنالانِ **بظلْف النفْس عن شَهَواتِها** ومَألُوفاتِها، مع الحَكَمَة عليْها، واتِّهامِا في مَنْهيَاتِها ومَأمُوراتِها، إذْ هي كما قيل: كالدابة التي تُرَاضُ، أمَا ترَى أنَّك إنْ ضيَّقت عليها بالحَكَمَةِ والزمام والضرْب لانتْ؛ فانقادتْ إلى مُرادِك، ووجدتَ منْها السيْر الفسيحَ، وإذا

[1]- **قرآن كريم**، سورة الكهف، الآية: 65.

تركتُها تتفسَّحُ في مَراتِعها، حتَّىٰ سمِنتْ، ركضتْ بكَ، فألْقتكَ عن ظهْرها سالما، أوْ مَيتا، أوْ مَعْطوبًا؟).

ولو تنكبنا عن التفسير الغيبي، فإن الأمر يمكن أن يفهم في سياق حدة الذكاء، وصفاء البصيرة، اللذين يجعلان صاحبهما يعلم الكثير بتعلُّم القليل، ولذلك أمثلة عديدة في تاريخنا العربي الإسلامي، وحتىٰ نوابغ العلوم في الغرب اليوم يوجد من بينهم من لم يحصل علىٰ شهادة الثانوية العامة، أما **التفسير الغيبي للدُّنِّيَّةِ العِلْم** فقد كان **"آدب"** نفسه، **يؤسسها على أصلين من القرآن والسنة**، وهذا ما يَسْتَحْضِرُهُ ابْنُه سيدي محمد **"سِيدِيَّ"** رِوَايَةً عنْ والِدِه، حينَ يَرُدُّ علَىٰ أخِيهِ: **"محمد لْحوار"**، عنْدما اسْتَأذَنَه في الرحْلة لطلَبِ العِلْمِ، فقال له، في تَضاعيفِ رِسالتِه الجَوابِية: "فتْح القهَّار في الرَّدِّ علىٰ محمد لْحوار":

(وأمَّا ما ذكرتَ من الْتزامنا الرحلة في طلَب العِلْم، خلَفا لسَلَفٍ، فلا نُطيلُ فيه، ولكن:

خـذْ مـا تـراهُ ودعْ شـيْئا سـمعْتَ بـه في طلْعَةِ البدْر ما يُغْنيـكَ عـن زُحَـلِ

إذْ قد أدْركْتُ والدَنا رضي الله عنه، فقد حدَّثَني - رضْوانُ الله عليْه - غَيْرَ ما مرَّة - وأنتَ شاهدٌ - أنَّه نَشأ فيما ينْشأ فيه مِثْلُه من أطفال أهْل الحرْب، من مُعاناةِ المَعِيشةِ وكدِّ العِيال، في شظَفِ العيْش، وشُغْلِ البَال، مُوَافَقَةَ مَسِيرِ إخْوَتِه طَلَبَةً، فمَا زالَ كذلك حتىٰ بَلَغَ، وهو علىٰ تلك الحالة، لم يكتسبْ عِلْمًا، ولمْ يُطالعْ... قال: بلغت مبلغ الرجال، وليس لي إلا التمسك بآية: "واتقوا الله ويعلمكم الله"، واعتماد حديث: "من عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثهُ الله عِلْمَ ما لمْ يعلم"، مع علو الهمة، ونفوذ العزْمة...، وقال رضي الله عنه وأرْضاه، وجَعَلَ نصيبَنا منه أوْفرَ نصيب وأوْفاه،: وذلك من صدق التوجه، مع العمل بمقتضىٰ العلم، كائنا ما كان، كما قيل:

لكـــنَّ سِرَّ الله في صـــدْق الطلـــبْ كمْ رِيء في أصْـحابه مَـن العَجَـبْ!

وقال: فلمَّا توفيتْ الوالدةُ -رحمها الله- أعملتُ الرِّحلة إلى الشيْخ الكامل: الشيخ سيدي، ما شاء الله، فأجازني، وشيَّعني إلى الأهْل).

وهكذا كانت **رِحْلَته** القصيرة إلى **حضْرَةِ الشيْخ سيديّ** هي رحلته الوحيدة في طلب المعرفة والعرفان، التي **تكللت بإجازته، 1265هـ، (في الأوراد القادرية،** والأحزاب والتوجيهات المحمدية والمختارية، أخذا وعطاءً، وروايةً وإرْواءً، بالشرْط المَألوف، والسَّنَنِ المَعْروف خَلَفًا عن سَلَفٍ...

"وأجزتُه أيْضا فِيما تحَصَّلْتُ وتتحصَّل فيه أهْليَتُه من العلوم الشرْعية؛ أصُولِها، وفرُوعِها، ومَقاصدِها، ووسائِلِها، على نحْوِ مَا أذِنَ لِي وأجازَنِي فيهَا شيْخُنا الخليفةُ سيدي مُحمد...".

ونظرا لأنَّ مثْلَ هذه الإجازاتِ لمْ يكنْ المَشايخُ العُلماءُ الأتْقياءُ يمْنحونَها جُزافا، كما تُمْنَحُ اليوْمَ بعض الشَّهَادَات العُليا، فقدْ **أوْضَحَ الشيخُ سيديَّ المُرْتَكَزَات** التي أسَّسَ عليْها حُكْمَه بالأهْلِيَّةِ المُزْدَوجَةِ للمُرِيدِ المُجَازِ في المَعَارِفِ الصُّوفية، والعُلوم الشرْعِية مُطلقا:

"**وإنَّما أذنتُ له وأجزْتُ له**؛ لِمَا لاحَ لِي فيه من لَوائحِ الصلاحِية للتقْديم، ولِمَا شمَمْتُ فيه من روائحِ الخُصوصية الممْزُوجَةِ بالصِّدْق والتسْلِيم".

وقد قلد "**سيدي**" والده وشيخه الوحيد: "**آدب**"، في الاعتقاد بجدوائية العلم اللَّدُنِّيّ/ الوهْبي، أكثر من العلم الكسْبي، متبعا إياه في **عدم الرحلة الخارجية** للدراسة، **والاكتفاء** الذاتي بقاعدتي: **الآية الكريمة، والأثر النبوي**، السابقين، **مستثمرا في نتائج العمل بهما، مع اعتبار شرط التقوى**، والصفاء الروحي، وصدق الإيمان، إضافة إلى رضى الوالدين، ففي إطار ردِّه الآنف الذكر على أخيه **محمد لحوار**، الراغب في الرحلة طلبا للعلم، يحاول ثنْيَه عن ذلك بضرْب المثل له

بوالدهم (**آدبَّ**)، ثم بتقديم نفسه له مثلا آخر، يمكن أن يعتدَّ به، فيقول: (أما أنا فليس الخبَرُ كالعيان، وليس الصادق كمن حدَّثَ ببُهْتان، فقد شاهدتَ مَواردَ أمْري ومَصادِره، وذلك أنِّي نشأتُ زمَنَ الصُّبُوَّة راغبا في التغرُّب، والابتعاد في التطلُّب، فجَعَلَ والدُنا رضي الله عنه يسوسني بسياسةٍ عجيبةٍ، ويَعِدُني بالمُساعدة على ذلك، وينْشُرُ لِي أحْوَالَ طَلَبَةِ العِلْم في جميع المَسالك، معَ اطِّرَاحِي بيْن يديْه،.... والعَمَلُ بمُقْتَضَى ما يشيرُ به ويَقْضِيه، حتى أطْلَعَني الله منْ فضْلِه عليْه، وقصَرْتُ هِمَّتِي على الشوْق إلى ما لدَيْهِ من عِلْم فوصلتُ إلى ما إليْه من فضْل الله وَصَلْت، ممَّا لا أنْكِرُه امْتثالا لأمْر الله،... ولا أذْكُرُه بيْن يديَّ من قلَّدَ هواه، وتولَّاه، "فظُنَّ خيْرا ولا تسْألْ عنِ الخَبَرِ"، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾[1]، و﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2] ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[3]، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[4]».

ورغم عدم قيام **سيدي بن آدب** – مثل أبيه– بأية رحلة خارجية في طلب العلم، فآثاره الباقية تشهد أنه كان عالما، قاضيا، مفتيا، أديبا متمكنا، ناثرا ساحرا، وشاعرا باهرا، وقد سار **الشيخ أحمد بن أدب** –أيضا على سنة أخيه وأبيه، فنال ما ناله، وأصبح شيخ مشايخ فضائه الاجتماعي، وقطب الشعراء هناك، **ولم يخرج على المنحى إلا** عم الشاعرة خديجة: **محمد لحوار**، فقد أصرَّ على الرحلة في طلب العلم، وتخرَّجَ– مُظَفَّرًا– من محظرتي الكحلاء والصفراء المشهورتين في مرابع قبيلة "أجيجبه"، **ولكن** الطريف أن **شهرة** العالم **خريج المحاظر**، الوحيد – بين أهل

---

[1]– **قرآن كريم**، سورة يونس، الآية: 58.

[2]– **قرآن كريم**، سورة الأحزاب، الآية: 62.

[3]– **قرآن كريم**، سورة فاطر، الآية: 43.

[4]– **قرآن كريم**، سورة النحل، الآية 18.

آدب- **لم تصل** إلى مستوى **شهرة** أخويه: **سيدي، والشيخ أحمد،** كما أن **آدب**. -أيضا- **كسفت** شهرته أقمار **العلماء والعارفين** من إخوته وأعمامه...

ففي هذا الوسط الثقافي- المتكامل المعارف والمواهب الفقهية، والصوفية، والأدبية، والشعرية، والمعتبر كثيرا في وسطه الاجتماعي، وامتداده الجغرافي المترامي الأطراف- ولدت **وترعرعت شاعرتنا** خديجة بنت آدب، وكبرت.. **ونالت نصيبها وافرا** من كل هذا الميراث المتنوع، سواء كان **وهبا أو كسبا،** مع أن بعض العارفين بها، يبالغ في تغليب مواهبها على مكاسبها العرفانية، حتى ليزعم أنها لم تكن تقرأ ولا تكتب، مع أن **من يقرأ شعرها** سيجد رصيدا لغويا معتبرا، ويجد فيه -كذلك- إحالات ومُنَاصَّات، تَرْشَحُ **بمرجعياتها** الثقافية المتعددة الحقول، دينيا، وأدبيا، وشعريا.... والتي توحي كلها **بثراء بيئتها** الثقافية **"الآدبية"**.

أما من **الناحية الاجتماعية** فقد تزوجها **الشيخ بن أحمد موسى** أحد أعيان أهل الأزرق الكنتيين البارزين، الذي كان **أخواله أهل سيد الأمين بن محمد بن الطالب اعمر** بن خيري البوسيفيين، **فأمه بنت أخي آدب،** أبوها الشيخ بن سيد الأمين... وهي الوحيدة عنده، وربما تكون هي التي سمته: الشيخ على اسم أبيها.

وقد **رزقت** شاعرتنا من الشيخ بن أحمد موسى **بابنين،** سمت أحدهما على والدها: **سيدي "أدي"**، وسمت الآخر: **محمد (ول الدامي)**، نسبة لعمِّها الشيخ أحمد بن آدب، وسرعان ما تألقا في جميع معاني الفتوة، لكنها ثكلت الأول منهما في أوج شبابه، والثاني بعدما تزوج وعقب لها بنين وبنات لله الحمد، فكان جرح فقدهما عميقا في نفسها، حسب ما عبر عنه نزيف رثائها لهما، إضافة إلى فقدها لأكابر أفراد أسرتها المحبين إليها، لما كانوا يتنافسون فيه من إرضائها وإكرامها...حيث رثت أيضا **عمها الشيخ أحمد بن آدب،** وابنه وخلفيته في

المشيختين، الروحية والاجتماعية: **محمد بن آدب**، الشاعر الأشهر في عائلة "أهل آدب: سلالة الشعر وبيت القصيد"[1].

[1]- أدي ولد آدب: **أهل آدب: سلالة الشعر وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

ثالثـــا

وراثة الشعر
عن سلالة لا عن كلالة

الشاعرة خديجة بنت سيدي بن آدب، **ليست نبتة طفيلية في حقلها**، بل هي **غصن** من **شجرة شعرية**، شامخة الفروع، راسخة الجذور... **ولو أردنا أن نتدرج** عبر **فروع** هذه **الشجرة**، **باتجاه جذرها**، انطلاقا من غصنها "خديجة" لوجدنا، أن أقرب غصن شعري لها هو **أخوها حم بن آدب**، ومع أننا كنا نعرف شاعريته بالحسانية، فإني اكتشفت له مؤخرا نصا شعريا فصيحا رائعا، يقول مستوىٰ نضجه الفني إنه ليس الأول، فهو وليد تجربة شعرية مستوفية لأدواتها الإبداعية الضرورية، حيث يقول:

وسرب منَ النَّخْلِ الرَّطِيبِ برَوْضَةٍ ... تُهَاجِمُهَنَّ الرِّيحُ.. طَوْرًا.. وتُحْجِمُ
وقَفْنَ.. وُقُوفَ الجُنْدِ.. عَزْمًا.. وعِزَّةً ... وكُلُّ شُجَاعٍ.. في الحَياةِ.. مُكَرَّمُ
أرَاهُنَّ.. فِي جَوْفِ الظَّلَامِ.. عَرَائِسًا ... مِنَ الجِنِّ.. ترْجُو الكوْنَ.. والنَّاسُ نُوَّمُ
تَجَمَّعْنَ.. فوْقَ الأرْضِ.. فِي شبْهِ ندْوَةٍ ... ومَجْلِسِ أنْسٍ.. لا يُفَضُّ.. وَيُخْتَمُ
ومِلْنَ.. بأعْطَافِ السُّجُوفِ.. صَبَابَةً ... فماهُنَّ إلا مُدْنَفٌ.. وَمُتَيَّمُ
كأنِّي أرَى حَفْلًا.. تَكَامَلَ حُسْنُه ... وراحتْ طُيُورُ الأيْكِ.. فيهِ.. تَرَنَّمُ

ولكــنَّ.. لِي.. فِي سربهــن.. نُخَيْلَــةً إليْها أُجِيلُ الطرْفَ.. دوْمًا.. وأُنْعِـم[1]

أما **أبوهما: سيدي محمد (سيدي) ولد آدب** الابن البكر لـ آدب، فقد كان شاعرَ كنْتة الغرْبيين بإجْمَاع، وقلَمَ "البَيان والتبْيين" لدَىٰ جَماعتِه، ملثما كان عالما، وقاضيا، وشيخا مربيا، رغم أنه لم يعمر طويلا، حيث لم يكد يبلغ الخمسين سنة، حتىٰ توفي في بداية القرن 14هـ؛ حسب إحدىٰ رسائله المؤرخة ب 1302هـ، هذا أيضا.

ولعل خير مثال لشاعريته الفذة رائيته المشْهُورَة، التي قالها- في غرض الحماسة- بُعَيْدَ سنة 1882، ففيها -رغم سَطْوَةِ الجَمَالِ والحُبِّ، في نفْسية الشاعِرِ العاشقِ- تبْقي لرُوحِ الفَارِسِ، خُطوطٌ حمْراء... تبْدأ عنْد حُدود قَدَاسَة الشرَف، والكرامة، وعلىٰ ضوْء هذه الفلْسفة والرُّؤْية كانت المُقدّمَة الغزَلية مَدْخَلا مُوَفَّقا إلىٰ الفخْر، والانتقالِ من الحُبِّ إلىٰ الحرْب:

ألا طرقتْ -كاليُسْر- من بعْدِمَا عسْرٍ بمَسْرًى يُسَرِّي الهمَّ إمَّا لنَا تسْري
أمَامَةُ.. عنْ وصْلٍ.. لنا.. بعْد هجْرِنا فأهْلًا.. بهَا.. منْ واصِلٍ.. بعْدمَا هَجَرِ
مُحَبَّأةٌ.. تسْبِي الحلِيمَ.. بِمَنْطِقٍ هُوَ السِّحْرُ، لا السِّحْرُ المُؤدِّي، إلى الكُفْر
مُعَطَّرَة.. يُزْرِي- علَى المِسْكِ- طِيبُها وبالبَدْرِ.. تُزْرِي.. نصْفَ رابِعَةِ العَشْرِ
بَعِيدةُ مَهْوَى القُرْطِ.. عجْزَاءُ.. خدْلَةٌ مُهَفْهفَة.. بيْضَاءُ.. برَّاقةُ الثَّغْرِ
وكنتُ على الآزَامِ.. مِنْ قبْلِ هجْرِها صبُورا؛ فَأفْنَى هجْرُها ساحتيْ صبري
فلمَّا.. رَأَيْتُ الهجْرَ-لا شَكَّ- قَاتِلِي علَى أنَّه -لِي دائمًا- بالهَوَى يُغْرِي
تَمَنَّيتُ.. لوْ- في الهَجْر- تَذْكُرُنِي.. ولوْ بِهُجْرٍ.. وَمَنْ لِي -مِنْ أُمَامَةَ- بالهُجْرِ؟
أرَاهَا.. تُرِينِي المَوْتَ.. عَمْدًا، وإنّها لَتَقْصُدُنِي- بالقتْل- تِيهًا، وما تدرِي

[1]- **السُّجُوف**: الأستار - **طوْرًا**: تارة - **يُفَض**: يفرق - **مُدْنَفٌ**: اشتد مرضه - **الأيْكِ**: الشجر الكثيف.

أقَـاتِـلَتِـــي.. عمْدًا.. أمَامَةُ.. بَـــاطِلا ... جِهَارًا.. كأنِّي لسْتُ.. بالصَّاحِبِ البرِ؟
فقلْتُ لهـا: مهْـلًا.. أُمَامَـةُ، قَصِّـــرِي ... عنِ الفَتْكِ بي.. فِعْلَ السَّفاهَةِ.. وَالخُسْرِ
وإلَّا فَـــإنِّي مِـنْ مَعَـــاشِرَ.. دأْبُهـمْ ... - إذَا وُتِـرُوا- التَّشْمِيرُ.. والأخْذُ بالثَّأْرِ
نَرَى الظفْرَ.. بالأعْدَاءِ.. نذْرًا.. وإنَّنَـا ... -إذَا مَـا نذَرْنا الأمْرَ- مُوفُونَ بالنـذْرِ[1]

أما **عمها مُحمد لحوار بن آدبَّ**، شقيقُ سابقه، فقد كان- هو الآخر- عالما وشاعرا، نستحضر له- هنا- أبياتا يخاطب فيها أخاه الشيخ أحمد، ربما بعد وفاة أخيهما الأكبر **سيدي بن آدب**، حيث يبدو أنها كانت اعتذارا له - ربما- عن **هجرة لحوار** عنهم، وانتباذه موطنا قصيا في الحوض الغربي، ومحاولة **الشيخ أحمد** الرحيل عنه:

سلام مـرتهن، بالشـجو، والأسَـــفِ ... حِلْفِ الأسى، والبُكا، والأدْمع الذَّرُفِ
مُرْضٍ بِـمَا يُشْـتَهَى مِنْـهُ، ومُنْكَسِـــرٍ ... وبالـذي لمْ يكـنْ، وَكـانَ، مُعْتَـــرِفِ
إلى ثِمال الورَي مُشْكِي الشُّكَاة، ومـن ... هُـوَ الخَلِيفَـةُ مِنَّـا، عَـزَّ مِـنْ خَلَـف[2]

أما **عمها الثاني: سيد مُحمد بن آدب**، ثالث الإخوة، الذي لا نعرف عنه، كثيرا، لأنه كان أولهم وفاة، ولم يُعَقِّب، فقد ترك لنا- على الأقل- أبياتا يستشفي فيها من غُنَّةٍ كانت في صوته، ربما يخاطب فيها والده، أو أخاه الأكبر **سيدي**:

الحمـد لله مُنـشِي الخَلْـقِ إنْشـاءَ ... بَانِيـه، مِـنْ عَـدَمٍ، مُفْنِيـهِ، إنْ شـاءَ
مِنَ الذَّلِيلِ، حَقِيرِ القـدْرِ، مَـنْ سَـاءَ ... إلى الجَلِيـلِ عَظِـيمِ القـدْر، إنْشـاءَ
تحيـة، كرُمَـتْ، كالبـدْر، في حُسُـنٍ ... كالشـمْسِ، إنْ بـرزتْ، غـرَّاءَ، سَرَّاءَ
وبعـــد، مُوجِبُـــهُ أنِّي- وحَقِّكـــمُ ... أرجو الشفاءَ، وأخْشى الغمَّ، والـدَّاءَ

---

[1]- **تسْـبِي**: تأسر - **مُهَفْـفَة**: ضامرة البطن، دقيقة الخصر - **وُتِـرُوا**: ظلموا.
[2]- **الذُّرُفِ**: المنسكبة - **ثِمال**: مغيث.

والــلام، بــالنون، أخشــى أنْ أبَدِّلَــهُ وأنْ أغَــيِّرَ مــا قــدْ قُلــتُ، والــرَّاءَ[1]

أما **عمها الثالث: الشيخ أحمد**، آخر العنقود من أبناء آدب، وشيخها، وشيخ أهل آدب جميعا بعد أخيه الأكبر **سيديَّ** والد شاعرتنا، بل شيخ مشايخ فضائه الاجتماعي عموما في زمانه، فهو **أكبر شعراء سلالة أهل آدب ديوانا**، ومن أجمل قصائده هذا النص الذي أتقن فيه لعبة الحوار الغزلي، المستعينة ببعض فنيات البديع المساعدة على ترتيب بنية الأجوبة على بنية الأسئلة، ولو عبر جدلية الصوت/ "هند"، والصدى/ "الشاعر"، المُرَجِّع في إجاباته لأصْداء جوهر تساؤلاتها، تعبيرا عن الموافقة التلقائية المتلهِّفة المُخْتَصَرة الحاسمة على جُلِّ عروضها المُمَنِّيَةِ المُشَوِّقَة، حيث يقول:

وبرْقٍ، شرى، وهْنا؛ فأغْرى بيَ الوجْـدا يَلوحُ، على نجْد، ومن سـكنوا نجْـدا
أرِقْـتُ لـه، والقـومُ، بالليْـل، هُجَّـعٌ وعيْنـايَ ممَّـا كـانَ آلفَتَـا السُّـهْدا
وليْلٍ دجَا، أرْخى السُّدولَ مُعَسْعِسًـا لقِيتُ، على رغْم الرَّقيـبِ، بـه، هِنْـدا
فقالتْ: حفظْتَ العَهْدَ؟ قلتُ لها: نعـمْ حفظتُ، على ما كانَ، منْكِ، لكِ، العَهْدا
فقالتْ: بمَغْنانا مـررْتَ؛ فهـل تـرى به العهْدَ وكَّافا؟ فقلتُ: أرَى العهْـدا
فقالتْ: أجُزْتَ الأبْلقَ الفـرْدَ باكيـا؟ فقلتُ لها: دمْعي سقَى الأبْلَـقَ الفـرْدا
فقالتْ: ذكَرْتَ الخَدَّ، والنَّهْدَ، عِنْـدَه؟ فقلتُ: حَـرٍ أنْ أذْكُـرَ الخَـدَّ، والنَّهْـدا
فقالتْ: بلغْتَ الجَهْدَ منْ شِدَّة البُكـا؟ فقلْتُ: جَديرٌ، ثَـمَّ، أنْ أبْلُـغَ الجَهْـدا[2]

أما **جدها- رأس فرع "أسرة أهل آدب"** الذي شمل سيدي والد شاعرتنا خديجة وأعمامها الثلاثة الشعراء العلماء المتقدمين- فهو **عبد القادر "آدب" بن سيدي الأمين** (1820/ 1875م)، الذي بورك له - ربما أكثر من غيره- في نصيبه

---

[1]- **غرَّاءَ**: وضيئة الوجه.

[2]- **شرى**: لمع وأومض - **هُجَّعٌ**: جمع هاجع وهو النائم ليلا - **السُّهْد**: الأرق - **مُعَسْعِسًا**: مقبلا بظلامه - **بمَغْنانا**: بمنزلنا - **وكَّافا**: شديد الانصباب - **حَرٍ**: حقيق وجدير.

من ميراث شعرية أهل سيد الأمين، وذويهم أهل مُحمد بن الطالب أعمر خيري، هذه العائلة التي ربما تكون هي أخرىٰ- بورك لها أكثر من غيرها- فيما ورثت من شاعرية أولاد بوسيف، ومعارفهم وعرفانهم، ومن أمثلة شاعريته هذه الضادية علىٰ وزن الطويل:

ألا أيُّهـا العبْـدُ.. الكَسِـيرُ.. المَهِـيضُ ... ألمْ يَـانِ- بعْد الشيْبِ- منْكَ.. نُهُـوضُ؟!
ألمْ يَـانِ أنْ تسْـلُو.. ولِلـنَّفْسِ- بعْـدَما ... طغتْ، جَهْدَها، واستخْدَمَتْكَ- تَرُوضُ؟!
وتأخُذَ- منك- الجَهْدَ.. دَأبًا.. مُشَـمِّرًا ... ومَالـكَ- في ليْـلِ التَّمَـامِ- غُمُـوضُ!
رَأيْتُـكَ لم تَسْـتَحْي بِيضًـا، تلامَعَـتْ ... برَأْسِـكَ.. أنْ يَقْتَـادَ قَلْبَـكَ بِـيضُ!
فَهَيِّـئْ.. دَواءً.. حمْيَـةً.. وعَقَـائدًا ... تَنَـالُ - بِهـا- بُـرْءًا.. فأنْـتَ مَرِيـضُ!
فبَادِرْ ولا تشْغَلْكَ "سـوْفَ" و"عَلَّـمَا" ... ولا يُلْهِكَ الطَّرْفُ.. الكَحِيلُ.. الغَضِيضُ![1]

وداخل بيت أهل آدب هذا **تعززت مورثات الشعرية** في جينات خديجة بنت سيدي، **بروافد بوسيفية أخرى**؛ حيث تَحَدَّرَت إليها عروق **الشعر النسوي** من **جدتها السعيدة** بنت ألمين الجيد، زوجة آدب، وأم أولاده الآنِفي الذكر جميعا، فقد كانت عالمة لها يد في قرض الشعر، فقد احتفظت لها الذاكرة بقولها مُرْتَجِزَةً بالتضرع لله:

يـا ربَّنـا، بالمُصَـطَفى، والخُلَفَـا ... ارْزقْ لَنَـا رِزْقًـا يَقِينَـا التَّلَفَـا
فإنَّنَـا مَسَـاكِنٌ، وَضُـعَفَا ... الطـفْ بنـا وأنْـتَ خـيْرُ اللُّطَفـا
فإنَّنَـا- مـنَ الخَطَـا- عـلى شَـفَى ... ارْأفْ بنَـا وَأنْـتَ خـيْرُ الرُّؤَفـا

وبما أن **السعيدة جدة خديجة بنت آدب**، كانت- **قبل زواج آدب** بها- **أم أهل أحمد انبسيف**؛ بيت العلم، والورع، والشعر، **من أولاد بوسيف البيض**،

---

[1]- **المَهِيضُ**: المكسور بعد جبر - **يَـانِ**: يحين - **تَرُوضُ**: تطوع - **تسْلُو**: تنسىٰ - **دَأبًا**: دواما - **الغَضِيضُ**: الغاض طرفه.

الذين **تسلسل الشعر فيهم** أربعة أجيال، من: **محمد** بن احمد انبسيف **زوج السعيدة** قبل آدب، إلى **ابنه محمد**، وحفيده **الجيلي**، ثم **محمد بن الجيلي**، فإن **الشاعرية البوسيفية البيضاء** هنا التقت - **في أبناء آدب**- بروافد **الشاعرية البوسيفية الخضراء**، بجميع دوائرها الأقدم، وهكذا **ورثت خديجة** بنت سيديَّ **شعريتها النسوية** -أيضا- من **عمتها** أيضا: **"أينات" بنت أحمد انبسيف** - أخت أبناء آدب لأم- فقد كانت- هي الأخرى شاعرة تدرك مؤثرات العراقة في نجابتها، حيث تفتخر قائلة:

إنِّي فتـــاةٌ عُـــروقَ الفَهْـــمِ جاذبـــة يكادُ ذهْنـيَ- دون النَّحْـوِ- يَكْفِينـي

كما نجدها أيضا تدندن الرجز على إيقاع أدعية والدتها السعيدة الآنفة الذكر:

يَـــا رَبَّنَـــا، يَـــا ذَا العَطَـــاءِ، وَالمِـــنَنْ ارزقْ لنـــا زرْعًـــا كثـــيرا ولَـــبَنْ.

ومن هنا أيضا يكون **لشاعرتنا** خديجة **عم آخر شاعر** وعالِم؛ هو **محمد بن** محمد بن **أحمد انبسيف**، أخو أبناء آدب من أمهم السعيدة، الذي التحق بحضرة الشيخ سيدي ضمن من استقطبه إشعاعها من وفود التلاميذ البوسيفيين، فحيا شيخه هناك بقوله:

يـــا خـــيْرَ مَـــن أمَّـــه المُريـــدُ للرشَـــدِ ومَن سـعَى نحْـوه البـاغونَ للصَّـفَدِ
ومـــن توســـط في الكـــمال لجتـــه وخـاض مـن أبحريـه كـل مزبـد
مأوى اليتيم، ومـن عـض الزمـان بـه غوث المسـاكين، واللُّهْفـان، والنُّكُـدِ
أنت الـذي تسـعف العـافي بحاجتـه من غير مَنٍّ.. بهـا.. كَـلَّا.. ولا نكـدِ
إني تطفلْـــتُ لاسْـــتِمْطارِ نـــوركمُ يـــا مـــن تَنُـــورُ بـــه بَصـــيرةُ الخَلَـــدَ[1]

[1]- **أمَّه**: قصده – **الصَّفَد**: العطاء – **مزبد**: هائج (مزبد) **اللُّهْفان**: ذوو الحاجات – **النُّكُدِ**: من بهم نكد وهو المشقة والعسرة.

وينضاف إلى كل هذه **الروافد الشعرية الوراثية** المتلاحقة - بتكاثفٍ ملحوظ - **في بيت أهل آدب**، بصورة أخص **مورث شعري آخر من خال آدب** نفسه: **أحمد ولد أحمد أشنان**، المتوفى: 1822م، الذي وجدنا له هذه المقطوعة من الخفيف، التي تعتبر الشاهد المحفوظ مما ينسب إليه من الشعر:

ليْت شِعْري، من أيْـنَ ريَّـا الغـوَالي؟ أسَرَى في الجنُـوب؟ أم في الشـمال؟
غـالنِي الـدهْرُ بـالخُطوب، فمـنْ لي بمُعـينٍ، عـلَى صُروفِ الليـالي؟[1]

فبَعْد هذا كلِّه **لا غرَابَة أنْ يكونَ "آدبَّ" "عَمُودَ بيْتِ الشِّعْرِ"** الأعْرَق في هذه **السُّلَالَة الكنتية**، دون مُنازِع، وأنْ يُورثَ أبناءَه وأحْفادَه -حتى الآن- سِرَّ القوافي، لدرجةِ أنَّه كان "يُحَنِّكُ" أبناءَه بالشعْر، بدَلَ التمْر واللبَنِ المَألوفيْن عند الآخرين، حيث كان كُلَّما وُلِدَ له ابْنٌ يصْدَعُ في أُذُنِه اليُمْنَى، بتكبيراتِ الأذَانِ، وتَعاويذِ القُرْآنِ، ويُدَنْدِنُ في أُذُنِه اليُسْرَى أبياتا شِعْرِيَّةً يرْتجِلُها في حقِّ ذلك الوَلِيد، لتنْدَسَّ نفحاتُ الإيمان، وإيقاعات الأوْزان، مع أوَّلِ قَطرات لِبَانِ الأمِّ، السعيدة بنت الأمين الجيد، سليلة بيت العلم والقضاء، في أولاد بوسيف الخضر.

حيث هدهد مهد ابنه الشيخ أحمد عم شاعرتنا بقوله:

إليكَ تُـضْرَبُ أكْبَـادُ العَطامِـــيسِ يَـا شـيْخُ أحْمَـد نِـبْرَاسُ النَّبَـاريسِ
تَسْـعَى إليْـكَ رُوَادُ الحَـاجِ مِـنْ بُعُـدٍ فَيُفْلِحُـونَ.. بتخْويـلٍ.. وتقْـدِيسِ[2]

---

[1]- **ريَّا**: ريح طيبة - **الغوَالي**: أخلاط الطيب كالمسك والعنبر - **غالني**: أهلكني - **الخُطوب**: الحوادث والأمور العظيمة.

[2]- **العَطامِيس**: التامة المكتملة من الإبل - **النَّبَاريس**: جمع نبراس وهو المصباح المضيء.

وقال له:

الشيخ أحمدُ.. فخْرٌ.. حين يُفْتَخَرُ ... ما إنْ يُشابِهُه بحْرٌ.. ولا مَطرُ
بجُودِ يُمْنَاهُ.. جادَ الباخِلُونَ.. كما ... -مِنْ راحتَيْهِ- بُحُورُ العِلْمِ تَنْفَجِرُ
معلِّمٌ.. عالِمٌ.. علَّامَةٌ.. عَلَمٌ ... قد فاقَنا.. وكذا مَنْ قبْلَنا غَبَرُوا.

وهكذا بوصولنا في تتبع فروع هذه الشجرة الشعرية إلى آدب وأبنائه الشعراء أسرة خديجة، نكون قد **انتهينا إلى فرع أهل سيد الأمين** بن محمد بن الطالب أعمر بن خيري، حيث نجد أيضا **محمد ويقي، والشيخ ابني سيد الأمين شقيقي آدب شاعرين أديبين** عالمين كليهما؛ **فمْحمد "ويْقي"** بن سيدي الأمين، (المتوفى في أواسط القرن 19 بأزواد)، كان أعظم شاعر أنجبته هذه الدائرة كما وكيفا، وهو من صفوة تلاميذِ الشيْخ الكبير: سيدي المختار الكنتي، وابْنِه: الشيخ سيدي مُحمد الخليفة، ومكانته الشعرية الفذة تتناغم - تماما- ومكانته العلمية، والسلوكية، حيث نمتلك له مجموعة شعرية عالية المستوى الفني، نكتفي له بمثال واحد منها؛ حيث **يقول** في عينية من الكامل متشوقا من حضرة أشياخه ب - "أزواد"، إلى أهْلِهِ في مَنْطقَةِ "أَكَانْ" في موريتانيا، رَبْعِ عَزَّتِه وعِزَّتِه:

صَبٌّ لنَأْيِكُمُ جَفَاهُ هُجُوعُهُ ... تُحْنَى علَى جَمْرِ الغَرَامِ ضُلُوعُه
أبَدًا هَوَاكُمْ فِي سَوادِ فُؤادِهِ ... يَجْرِي، فَيْجِري بالدُّمُوعِ نَجِيعُهُ
ويَدُومُ كتْمانُ الغَرام، ودَمْعُهُ ... مُغْرًى بمَكْتُومِ الغَرَامِ يُذِيعُهُ
يَبْكِي علَى زمَنٍ تَقَضَّى بالمُنى ... بَيْنَ الأحِبَّةِ عامُهُ أسْبُوعُهُ
هُوَ كُلّهُ زَمَنُ الرَّبيعِ: مَصِيفُهُ ... وخَرِيفُهُ وشتَاؤُهُ ورَبِيعُهُ
يا قَاتَلَ اللهُ النَّوَى فَهْي الَّتِي ... قد حَمَّلَتْنِي فوْقَ ما أسْطِيعُهُ

لم يَبْــقَ مِنِّــي غَــيْر قلْــبٍ هــائمٍ وَحَشا لَهِيبُ لَظَى الغَرام ضَحِيعُهُ
وجَـوانِحٌ تَـنْفَضُّ مـنْ فَـرْطِ الأسَـى وقَــريحُ جَفْــنٍ، لَا تَجِــفُّ دُمُوعُــهُ
نَقَضَتْ عُرى صبْري الهُمومُ، ولم يزل قلْبــي لفــرْقتكمْ مَرُوعًــا رُوعُــهُ[1]

أما **الشيخ بن سيدي الأمين**: فكان **من مريدي الشيخ سيديَّ محمد** بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، مثل أخيه **"ويقي"**، وتتلمذ-كذلك- على **الشيخ سيدي**، مثل أخويهما الآخرين: **آدب، وأحمد**، وفي **شيخه الشيخ سيدي محمد**، يقول الشيخ بن سيد الأمين:

الحقُّ أبْلجُ.. نـورُه.. يَتَــــــــلَالا يــزْدادُ كــلَّ أنَــى.. ســنًا وجَمَــالا
والشــمسُ تبْــدُو للبَصــير ولا تــرَى في مُقْلــة الأعْمــى لَهَــا إعْمَــــالا[2]

وفي **شيخه الثاني**: **الشيخ سيدي** بن المختار الهيبة، ويتوجع على فراقه:

يا ليت شِعْريَّ هل أُلْفَـى عـلى عَجَـلِ أرَتِّبُ السـيْرَ مـن قبْـلِ انْقِضـا أجَـلي
أطْــوي الفيــافي عــلى عَيْرَانَــةٍ أُجُــدٍ تسْخُو عَلَى الأيْن بالتقْريـبِ والرَّمَـلِ
إلى الهُــمامِ إمــامِ الوقْــت سَــيِّدِنا "سِيديَّ" ملْجَئِنا في الحادثِ الجَلَلِ؟[3]

ووالد هؤلاء الفتية الشعراء العلماء إخوة أدب جد شاعرتنا؛ هو: **سيد الأمين** بن مُحمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفي المتوفى (1237هـ-1822)، الذي كان **قاضي** جماعة **أولاد بوسيف "الخضر"**، حين جاءهم صَرِيخُ إخْوتهم "البِيض" في مَعركة "شَكَارٌ"، فأوقفَ زعيمُ الجَماعةِ اسْتِجابتَهم للنجْدة، على

[1]- **صَبٌّ**: عاشق ولع - **جَفَاهُ**: هجره - **نَحِيعُهُ**: دمه - **النَّوَى**: البعد والفراق - **أسْطِيعُهُ**: لغة في أستطيعه. - **جَوانِحٌ**: أضلاع - **تَنْفَضُّ**: تتفرق.

[2]- **أبْلجُ**: ظاهر واضح - **يَتَـلَالا**: يشع ويضيء - **سنًا**: ضوءا - **إعْمَــالا**: تأثيرا.

[3]- **عَيْرَانَةٍ أُجُد**: ناقة أجد، أي ناقة قوية موثقة الخلق - **تسْخُو**: تجد في السير - **الأين**: التعب.

فتْوَىٰ القاضي: سيدي الأمين، التي أرادَها شِعْرِيَّةً، وشَرْعِيَّةً في الوَقْتِ نفْسه، فارْتجَلَ "كافه/ قافَه" الحَسَّانِي المَشْهُور:

عـــــدْنَا الْحَـــــاصَرْ طمْعَـــــهْ مرْحَـــــانْ لَقْلِـــــيمْ انْـــــسَرْمُ
يـــــوْلادْ بُوســـــيفْ الرَّتْعَـــــهْ وامْنَـــــازلْ السَّـــــاحلْ حـــــرْمُ

ثم طرحَ خيْمتَه أرْضًا، إيذانًا بالتحرُّكِ لنجْدة الإخْوَةِ المُسْتَبَاحِي الحريم، وهنا **يبدو** لي **من المحتمل** جدا **أن يكون شارك في القصيدة الأربعينية البوسيفية** الآتي ذكرها، إذ كان أحد الفرْسان المُنتَخبين طليعةً للجيش، وقد كانَ له دوْرٌ كبيرٌ في صنْع النصر الحاسم للمَعْركة، مُقدِّما نفْسَه فِداءً للجماعة، حيث قُتِلَ هناك.

وبوصولنا إلى سيد الأمين بن مْحمد هذا نكون قد **انتهينا إلى فرع أهل مْحَمَّد بن الطالب اعمر بن خيري**، داخل **شجرة السلالة الشعرية البوسيفية الخضراء**، وهناك نجد أخا سيد الأمين:

– **المختار بن مْحمد** بن الطالب اعمر، الذي يبدو نضج تجربته الشعرية، من خلال النموذج الوحيد الذي وجدناه له، والذي نكتفي هنا بقبس منه؛ حيث يقول من البسيط:

أبْدَى منَ الشَّوْقِ ما قدْ كُنْـتُ أُخْفِيـهِ وكنْـــتُ أزْعُـــمَ أنْ لا شيْءَ يُبْدِيـــهِ
أني مـررتُ عـلى ربْـعٍ عهـدتُ بـه أســماءَ، لا بــرحَ الوسْــمِيُّ يسْــقيهِ
عهْـدِي بـه، وظِبَـاءُ الأنْـسِ تَقْطُنُـه واليوم صارت ظباءُ الـوحْشِ تُحْييـهِ[1]

ومنه **ورث ابناه** الشعرية:

– فـ **أحمد بن المختار**؛ تؤكد نصوصه أنه متمكن – من ناصية الشعر العربي الفصيح، وهو الرائد الأسبق- تاريخيا- لفنِّ **"الزريگة[2]"** في الشِّعر

[1]– **الوسْمِيُّ**: المطر.

[2]– يجمع بين الألفاظ الحسانية، والألفاظ العربية الفصيحة، في النص الشعري.

الشنقيطي، ومما استنقذنا من شعره قوله يدندن حول تشوقه إلى مرابع قومه، حيث يستثير شجوه نزوله في منطقة مقطع الحجار، من ربوتي "التوأمين"، غربيه، إلى "التاشوط" (تاشوط أولاد بوسيف) شرقيه، فيقول من الكامل:

أغْرَى المَـدامعَ، والشـجونَ، هبـوطي ... بـ"التَّوْأَمَيْنِ"، ضُحًى، وبـ"التاشوطِ"
أيامَ كنـتُ بهـا، و"كنْتَـه" برَبْعِـــها ... والدهْرُ يَرْفلُ، مــائســا، بمُـــــروطِ
...مَهْلا.. فهذا الـدهْرُ مـا اسْـتِقْرارُهُ ... - في صَرْفِه- مِنْ شَرْطِهِ المشْـــرُوطِ[1]

وهناك- أيضا- أخوه:

3- محمد بن المختار بن مُحمد بن الطالب اعمر، الذي قال عنه الأستاذ هارون بن الشيخ سيدي: إنه (سكن مع الشيخ سيديَّ وصحبَهُ وأحَبَّه، ولَّما أرَادَ المَسيرَ عنْه قَالَ فيه – من الكامل- هذه القطعة الرائقة:

عـاشَ الفِـرَاق حَلِيـفَ عـيْشٍ أنْكـدِ ... واسْــتبدَل... الاســيف مــن الــدَّدِ
وغــدا الغــدُ الآتي عليــه بــما بــه ... وَعَــدَ الأحِبَّــةَ فِي غــدٍ مِــنْ مبْعَــدِ
ولـذا رفعـتُ يـدَ الـدُّعاءِ عَـلى غَـدٍ ... ظرْفِ الفـراقِ بقـوْلِ أقْصَـدِ مُنْشِـدِ:
"لَا مَرْحَبًــا بِغَــدٍ، ولا أهْــلا بــه ... إنْ كــانَ تفْريــقُ الأحِبَّــةِ فِي غَــدِ"[2]

وضمن هذه الدائرة يندرج

4- الشاعر: أحمد بوه بن محمد بن أحمد بن الطالب اعمر بن خيري، ابن عم سابقيِّه، الذي يقول في مقدمة قافية من البسيط:

---

[1]- **يَرْفلُ**: يتبختر – **مائسا**: متمايلا ومائدا – **مُروط**: جمع مرط، كساء من خز أو صوف أو كتان تتلفع به المرأة.
[2]- هارون بن الشيخ سيدي: مسودة الجزء الخاص بكنتة من **"الأخبار"**، ص 113، والكسر الموجود في وزن الشطر الثاني من المطلع موجود في المصدر. **الاسيف**: كثير الندم – **الدَّد**: اللهو واللعب.

يا ليلةً، بِتُّ في جنْب "الركيـز"، إلى جنْبِ "الغفـارةِ"، لا آوِي إلى رُفَقَـا
مُسْتَصْحِبا غيْرَ مَنْ يَرْضى مُصَـاحَبَتِي مُسْتَمْسِـكًا بِعُـرَى حَبْـلٍ غـدا خَلِقَـا
مَا كانَ أبْعَـدَ مَـا أهْـدى التـذكُّرُ مـنْ سَلْمى، بجَنْبِكَ، لِي التَّبْرِيحَ، والقلَقا[1]

وهنا **ينتهي** بنا **تتبع فروع شجرة الشعر** التي **انبثقت منها شاعرتنا** خديجة بنت سيدي بن آدب إلى **فرع** أكبر؛ هو **"أولاد بوسيف الخضر"**، التي لم يبق بأيدينا من شواهد شعريتهم العامة غير بقية **أسْطورةٍ** تُسَمَّى: **"قصيدةَ الأرْبعين"**، تواتَرَ تداولها في أوْساط الجَمَاعَةِ كابرًا عن كابر، تقولُ: **إن أربعين** فارسا من **"أولاد بوسيف الخضْر"** قدْ شكَّلُوا ذاتَ يوْمٍ طليعةَ / "سَلْفَةً" لجيْشٍ، جهَّزُوه من أعْماق "تِيرَس"؛ لنَجْدَة إخْوَتِهم "أولاد بوسيف البيض"، المُحاصَرين من طرَفِ حِلْفٍ مُعادٍ لهمْ، في منطقة "شَگارْ گادِلْ"، في ولاية البراكنة الحالية، بوسَط موريتانيا، وفي طريقهمْ لخوْضِ معْرَكةِ فكِّ الحِصارِ هذه **ضمن حروب البلاد السائبة**، ارْتَجَلَ كلُّ واحدٍ من فرْسانِ "السَّلْفَة" الأرْبعينَ بيْتا شعْريا، حتى اكْتملتْ تلك **"القصيدةُ الأرْبعينية"** المزعومة، التي ما زلتُ أحْفظُ منْها ثلاثة أبيات، علِقتْ بذاكرتي من قصصِ الرُّوَاة، في مَجالسِ السُّمَّار:

غـدتْ أرْضُـنا والـدهْرُ ديْدنُـه المَكْـرُ كأنْ لمْ يكنْ فيها "حَمَاءٌ" ولا "مَكْرُ"
ولا استنَّ فيها - بالـعَشِيِّ- صَـوَافِنٌ ولمْ تَعْـدُوَنْ فيهـا لَهَـامِيمُها الحُمْـرُ
فأضْـحتْ ولا مَرْعَـى بهـا لِخَرُوفَـةٍ وكانتْ بِها ترْعَى الهُنَيْـدَاتُ والعَكْـرُ[2]

---

[1]- **التَّبْرِيح**: المعاناة والمشقة والألم الحاد الشديد.

[2]- **ديْدنُه**: عادته ودأبه - **الحماء** والمكر نباتان - **استنَّ**: استن الفرسُ ونحوه: جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة - **صَوَافِن**: الصافنات الواقفة على ثلاثة أرجل - **لَهَامِيم**: جمع لهميم ولهموم وهو عظيم الجوف - **الهُنَيْدَاتُ**: اسم للمئة من الإبل - **العَكَرُ**: القطيعة الضخمة من الإبل.

ومَهْما كانت خيالِيَّةُ هذه الأسْطورة الفُرُوسية الشعْرية، فإنَّ الأساطيرَ لا تنْبَثِقُ عادةً إلا من نَوَاةٍ واقِعيةٍ، يستطيعُ الخيالُ أنْ يبْنيَ عليْها، بمعْنىٰ أنَّه لوْ لمْ يكنْ الشعْرُ منتشرًا يومَئذٍ بشكْلٍ واسعٍ في ذلك الفَخِذِ الكنْتِي، لَمَا كانَ هناكَ مُسَوِّغٌ لميلاد هذه الأسطورة، وقبول تداولها أُمْثولةً في الذاكرة الجماعية المحلية؛ فوُجودُ أرْبعينَ فارسا من فخذٍ واحدٍ، تمَّ انتقاؤهم طليعةً علىٰ مَعايير حَرْبِية، وهم- في الوقت نفسه- يستطيعون ارْتجالَ الشعْر بيْتا بيْتا، علىٰ طريقةِ "الإجازة" والمشاعرة البديهية، هو في الحقيقة مُعْطىٰ له دلالتُه الكبْرىٰ والعميقة، في سياق تأطيري للتسلْسُل الوِراثيّ للشعْر في هذه السلالة.

وبعد هذا التدرج في فروع السلالية الشعرية من **أهل آدب**، إلىٰ **أهل سيد الأمين**، إلىٰ **أهل مْحمد** بن طالب أعمر بن خيري، إلىٰ **أولاد بوسيف الخضر**، مرورا بـ **أهل أحمد انبسيف** بؤرة الشعر في **أولاد بوسيف البيض**، أكون قد **وضعت شاعرية خديجة بنت سيدي بن آدب في سياقها الشعري الثقافي الاجتماعي التاريخي**، فهي متموقعة بعمق وتجذر، وتمدد، في صميم هذه السلالة الشعرية، **فأبوها سيدي، وجدها آدب، وأعمامها** الشيخ أحمد، ومحمد لحوار، وسيد مْحمد، ومحمد بن أحمد انبسيف، **وعمتها** أينات بنت أحمد انسيف **جميعهم علماء، شعراء،** مشايخ تصوف وتربية، وزعماء مجتمع... والشيء نفسه **ينطبق** علىٰ **جذور الشجرة العائلية، وفروعها،** أعماما وأجدادا، وحتىٰ أبناء وأحفادا.

رابعـــا

شاعرة وادي النبط
الموطن والمدفن

الفضاء المكاني يتماهى – في وجدان الشاعر غالبا– مع **الفضاء الإنساني،** حيث يمثل المكان خزانا للذكريات، ومَنْسَجًا للعلاقات، فارتباط الإنسان بالأوطان – سلبا وإيجابا– يعود لتلك الأبعاد النفسية بالأساس، أكثر منه بصفات المكان، وخصائصه الطبيعية، وتضاريسه الجغرافية، ورغم أن **شاعرتنا خديجة بنت سيدي بن آدب** كانت تترحل داخل الفضاءات الاجتماعية لأهلها بين تگانت، والبراكنة، والحوضين، فإن ارتباطها بتگانت كان أكثر حميمية، وربما يرجع ذلك إلى أن أهاليها في الفضاءات الأخرى كانوا مترحلين – انتجاعا– داخل حيزاتهم الجغرافية، ولم يكن لهم موقع ثابت، وموطن محدد، إلا في تگانت، ورغم أن **عمها الشيخ أحمد بن آدب،** كان قد **توطن أولا** في **"قصر البركة"** بتامورت النعاج، **وثانيا** في **وادي النبط،** وبنى **دارين** في كل منهما، فإني لم أجد لتوطنه في قصر البركة صدى في شعر خديجة، ربما لأنه عادٍ في نظرها، باعتبار مدينة **"قصْر البركة"** إحدى **أمَّهات القرى** والعواصم الكنتية الجماعية، **بينما كان لبنائه دراه الأخرى بالنبط،** واستيطانه هناك **رمزية أخرى** لدى شاعرتنا، فعلى الرغم من أن داري الشيخ أحمد بن آدب؛ مثلتا رمزا لبداية تمركزه، و"تمكنه"، واستقراره، في مشيخته المتعددة الأوجه، فإن **توطنه**– في الربع الأول من القرن العشرين– **بوادي النبط،** الذي **أهداه إليه أولاد البح** أحد أفخاذ أولاد سيد **حيبله** البارزين، بقيادة زعيمهم

يومئذ **سيد أحمد** بن سيدي **بن الوداني**- **يعتبر استقلالا بقرية خاصة به**، جعلها **عاصمة أهل آدب**، بمشيختيْها **الروحية** و**السياسية**، وعندما بنى هنا داره الثانية، **احتفت بتشييدها ابنة أخيه** الشاعرة خديجة **"دَيَّه" بنت سيدي بن آدب**؛ فأعدَّت **تهنئة** شعرية لعمها **الشيخ أحمد** بمناسبة تأسيسه عاصمة حضرتهم، حيث قالت:

يَـا وَادِيَّ النَّـبْطِ، لا غَبَّتْـكَ أمْطَـارُ وسـاعَدَتْكَ مـنْ الوَسْـمِيِّ أنْهَـارُ
يا وَادِيَّ النَّبْطِ لَا شَـطَّتْ بِـكَ الـدَّارُ وحَلَّـكَ الخَـيْرُ إذْ حَلَّـتْ بِـكَ الـدَّارُ
دارٌ لأَحْمَـدَ، لا زالَ المُنَـاخُ بِهـا كـما تُحَـطُّ ببَيْـتِ الله أوْزارُ[1]

وقد دندت الشاعرة كثيرا حول **"النبط"** موطن أهلها الأثير، ومواسمه الجميلة، فقالت:

فللـهِ أيَّـامُ الحَـدَائِقِ والتَّمْـرِ مـن النَّـبْطِ، أيَّـامُ الـذَّبَائِحِ والنَّحْـرِ
لقـدْ خَصَّـهُ المَـوْلَى بأحْمَـدَ، شَـادَهُ وجَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ، يا لكَ مِنْ قَـصْرِ!

وحتى لو غابت عنه بجسْمِها يظل شُعورها وشِعْرها يحومان حوله:

يا زائرَ "النَّبْطِ" إنْ تَلْمُمْ بِـه سَـحَرًا سَلِّمْ، ولَا تَنْسَ حَرْفًـا فِيـهِ أوْ سَـطَرَا
قَـصْرُ المَكَـارِمِ، لا قـصْرٌ يُماثِلُـهُ أعْيَـتْ مَدَائِحُـهُ النُّثَّـارَ والشُّـعَرَا

وهنا يصبح شعر الذكريات متنازعا بين شعر الرثاء، وشعر التعلق بالأوطان، فهو مترد - في جوهره- بظلالهما معا، فهو إما رثاء للحظات سعيدة هاربة، أو حنين إلى أوطان محببة، أو بكاء على أطلال مكانية نائية، وفي هذا السياق تقول خديجة:

[1]- **غَبَّتْكَ**: زارتك في أوقات متباعدة – **شَطَّتْ**: بعدت.

بِشَـاطِئ ذاك النهْـر، حـوْلَ الحَـدائقِ ليَـــالٍ، قضـــيْناها بقـــوْمٍ لوَائـــقِ
وعَنَّـتْ مـن البَيْـتِ القَـديمِ حِكَايَـة "تذكَّرْتُ ما بـيْن العُـذَيْبِ وبَـارِقِ"
عَوَالِق مِنْ قلْبي لدَى النَّبْطِ ضُـمِّنَتْ فأنَّى لِنَفْسِي رَفْـضُ تلـك العَوالِـقِ[1]؟

وقد وجدنا لها نتفة شعرية صغيرة، **خارج وادي النبط**، تدعو فيها إلى وقفة طللية عابرة على وادي **"انْكَدَيْ"** نَظَمَتْها على وزن **"حثْو الجراد"**، في الشعر الحساني الشعبي:

خُـــــــــذِ الزِّمَـــــــــامَ وقـــــــــفْ وَحَـــــــــيِّ
واقْـــــــــرِ السَّـــــــــلَامَ عـــــــــلَى انْكَـــــــــدَيِّ
حَـــــــــيِّ رُبَـــــــــاهُ وَالمَيْـــــــــثَ حـــــــــيِّ
فـــــــــإنَّ ذاهُ مَمَـــــــــرُّ حَـــــــــيِّ

وإذا كانت خديجة قد دشنت تأسيس النبط بوصفها التقديسي لـه، المبالغ في تشبيه بركة زيارته ببركة حج بيت الله، حيث قالت:

دارٌ لأَحْمَـــدَ، لا زالَ المُنَـــاخُ بِهـــا كـــما تُحَـــطَّ ببَيْـــتِ الله أَوْزارُ

فقد تعزز موقع **"النبط"** في وجدان الشاعرة، بعدما **دفن فيه** مؤسسه **الشيخ أحمد**، وأصبح **مدفنا لبقية الأسرة**، فرأت الشاعرة أن باطن أرضه، قد غبن ظاهرها، واستأثر دونها بأقمار الأشياخ، حتى كاد **النبط** -في نظرها- **يتقمص مكة** بركة، فقالت:

العِلْـــمُ والحِلُـــمُ والآدابُ والكـــرَمُ قـد حَـلَّ بـالنَّبْطِ مـنْ أَرْبابِهـا عَلَـمُ
منْ بَعْدِهِ الأَرْضُ أَحْنَتْ ظَهرَها ثَكَلًا واسْـتَوْطنتْ بَطْنَهَـا الأَقْـمَارُ والـنُّجُمُ
وأورثَ النَّـبْط منـه مَكَّـةً بَـدلًا والبيْـت أورثـه والحِـلُّ والحُـرُمُ

[1]- **عَنَّتْ**: ظهرت ولاحت وبدت.

وعندما توفي بعد ذلك أحد ابنيها، ودفن هناك، قالت:

عَفَـا اللهُ عـنْ قَـرْمٍ تَضَـمَّنَهُ النَّـبْطُ وجادَ له بالبَسْـط، مَـنْ عِنْـدَهُ البَسْـطُ
وثَقَّـلَ، في المِيـزانِ، وزْنَ فِعَالِـهِ إذا وُضِعَتْ، يوْمـا مَوازينُهـا القِسْـطُ

وقد تكرَّسَت هذه النظرة التقديسية لـ **"وادي النبط"**، أو **"قصر النبط"** كما سمته شاعرتنا آنفا، عند مختلف قُصَّاده وزُوَّاره، فيما بعد، باعتباره حاضرة زعامة أهل آدب، وحضرتهم الروحية، ومزار مَشْيخَتِهم، حيث نرىٰ الشاعر محمد بن الجيلي بن أحمد انبسيف، يتشوقه، ويستشرف الوصول إليه بكل لهفة:

حيِّي الـديارَ التـي مـن أشْرَفِ المُـدُنِ نُشْفَى بهَا مِنْ جَمِيعِ الشـوْقِ، والحَـزَنِ
كـنْ عـاملا نحْوهـا بِعَـيْهَمٍ أجُـدٍ تطْـوي الـدُّنا دُونَهـا فِي الآلِ والحَـزَنِ
تلك الديارُ التي بـ "النـبْط" شـيَّدَها قوْمٌ كرامٌ، عَلَوْا، من سَـالفِ الـزَّمَن[1]

وكذلك نجد الشاعر الأسياد بن جار، سليل أهل الشيخ بن أمني بيت العلم والفضل والصلاح، يقول:

أيا أهْلَ "وادي النَّبْطِ"، وافاكمُ وفْدُ حيارى مـن الأوْزار، مـا عنْـده رِفْـدُ
مَطاياهُ- منْ تتابُعِ السـيْر- قـدْ وَنَـتْ وأمَّـا نفوسـه، فـذا عِنْـدَها، شـهْدُ
ولله منِّـي الحمْـدُ؛ إذْ جئـتُ زائـرا وما لي- وأَيْم اللهِ- في غير ذا- قَصْـدُ[2]

وهنا نذكر أن **شيخ النبط**، المزار، كان هو وأهله جميعا يبادلون **أهل الشيخ ولد أمنِّ** أقصىٰ التقدير والاحترام، **فالشيخ أحمد بن آدب**، ما زال يتردد صداه، متضرعا:

---

[1]- **عَيْهَم**: ناقة سريعة – **الآل**: السراب.

[2]- **رِفْد**: عطاء وصلة – **وَنَتْ**: وهنت وضعفت.

أذا المن – بابن أمن– صرِّف طخى قلبي وفـرج كروبـا، لاتـزال مـع الكـرب
وانصر، وأيد، واكفني كيد مـن شـنا وحاربْ – إلهي– كلَّ من يبْتغي حـرْبي
بصـــوْمِك أيامـــا هواجُرُهـــا لظـــى كـــذا بقيـــام في الـــدياجر، في الـــترْبِ[1]

[1]– **طخى القلب**: ظلامه – **شنا**: كره وأبغض – **الدياجر**: جمع ديجور: الظلمة الشديدة.

خامســـا

خنساء شنقيط بين الرثاء والغناء

ربما كان توزع الشاعرة بين هاتيك الفضاءات الثقافية والاجتماعية، وجها آخر لتوزعها، داخل فضاءات الشعر، فهي تقرض الشعر الفصيح والشعر الشعبي **"الحساني"**، ورغم كونها طرقت عدة أغراض شعرية، فقد كان **الرثاء والغناء**، هما قطبي تجربتها، اللذين عاشت تتناوس بينهما، باعتبار **الفرح والحزن**، وجهين لعملة واحدة هي الحياة، "فشيمة الدهر: **إحلاء وإمرار**"، كما تقول الشاعرة، وكما قالها قبلها الكثيرون، ولعل مقاربة شعْرها هي خير مصدر نستشف من خلاله مستواها الثقافي، وقدراتها الشعْرية، حيث يبدو متعدد الأغراض والأوزان، والأبعاد، حسب اختلاف وتغير حالات الطقس النفسي للشاعرة، فنماذج شعرها التي بأيدينا تعتبر مرآة عاكسة لتموجات شعورها، عبر ذبذبات الحياة مدا وجزرا، سلبا وإيجابا، حزنا وفرحا...

كل ذلك لا يخلو من جزالة ملحوظة تغالب أنوثتها، وتمكن- في الغالب- من أدوات الشعر، رغم ما يُلاحظ - أحيانا- من هنات في الإطار الموسيقي، أو النحوي، ربما كان مرد بعضها إلى تطاول العهد- شيئا ما- على رواية شعرها الشفوية، إضافة إلى عدم تقنية ثقافة الشاعرة المشار إليها سابقا.

1- الرثاء

لعل أكثر الأغراض هيمنة على تجربة هذه الشاعرة، هو **الرثاء**، مما يضفي مصداقية كبيرة على لقب **"خنساء شنقيط"**، الذي منحتها إياه، في مقال منشور صحفيا 1995م[1]، مع أنها لم تكن تتقمص دور **"الخنساء"**، وإنما **شاء القدر أن يجمع بينهما** في عدة مواصفات، في **الشاعرية**، وفي **المكانة** الاجتماعية المحترمة، وفي **الثكل** والفجيعة في الأقارب، فقد حفرت وفاة **ولدي خديجة** في وجدانها جرحا عميقا ظل ينزف شعرا، كما هو حال **الخنساء السلمية** مع أخويها؛ وهكذا نجد **خديجة** تمعن في رثاء ولديها: ولد الدام، وسيدي، ابني الشيخ بن أحمد موسى، وتقول في رثاء عمها الشيخ أحمد بن آدبَّ:

العِلْـمُ والحِلْـمُ والآدابُ والكـرَمُ ... قـد حَـلَّ بـالنَّبْطِ مـنْ أرْبابِهـا عَلَـمُ
مـاتَ العَفـافُ ومـاتَ الجُـودُ أجْمَعُـهُ ... بمـوْتِ حَـائِزِهِ، مُـذْ حَـازَهُ السَّـنَمُ
منْ بَعْدِهِ الأرْضُ أحْنَتْ ظَهْرَها ثَكَلًا ... واسْـتوْطنتْ بَطْنَهَـا الأقْـمَارُ والـنُّجُمُ
وأورثَ النَّـبْط منـه مَكَّـة بَـدلًا ... والبيْـت أورثـه والحِـلُّ والحُـرُمُ
ما بعْدَ رُزْءِ الجَليـلِ المُصْـطَفَى طمَـع ... بـأنْ تَنَـالَ البَقـا مـنْ بَعْـدِهِ نِسَـمُ
أعظْـمَ لنـا، رَبَّنَـا، أجْـرَ المُصَـابِ بِـهِ ... يـوْمَ الحِسَـابِ غَـدًا إنْ حُلِّـتِ الهِمَـمُ

وعندما توفي **ابن الشيخ أحمد** وخليفته، في مشيخته الروحية، والاجتماعية، والأدبية، الشاعر: الأشهر: **محمد بن آدب**، قالت ترثيه:

صَـبْرًا فصَـبْرًا فـمَا للبَـثِّ مـن آسِ ... إثْـرَ الـذِي شَـاءَهُ الفَعَّـالُ بالنَّـاسِ
حقَّ الثَّنَـاءُ عـلَى طلْـقِ اليَـدَيْنِ نـدًى ... مَنْ هـو للمُـرْمِلاتِ المُطْعِـمُ الكـاسِي

[1]- جريدة **أخبار الأسبوع**، العدد81، 12/ 03/ 1995م.

غوْث، زعِيم بنِي ذِي السَّـيْف قاطِبـةً أهْلِ الفَضائلِ، في رُخْـصٍ، وإغْـلاسِ
لو كانَ يُفْدَى، بجَمْعِ الناسِ، ذُو كرَمٍ يُفْدَى الفَتَى بجَميعِ الناسِ مـنْ بَـاسِ
أمْسَــتْ رَوَاسِي بِنَــاءِ المَجْــدِ وَاهِيــةً غَدَاةَ مـا عِيـقَ عنْهَـا مَجْـدُهَا الـرَّاسي[1]

وقد شاء القدر أن تتابع فجائع خديجة في ذويها، لتتعزز جدارتها بلقب الخنساء أكثر، حيث ثكلت ابنها: سِيدي بن الشيخ بن أحمد موسىٰ، فتىٰ الفتيان، في شبابه، فقالت تستمطر رحمات الله علىٰ جدثه:

يَا رَحْمَةَ الله، سُـحِّي، ثَـمَّ، وانْسَـكِبِي عليْـهِ، عفْـوًا، بِـهِ الرّضْـوَانُ مُقْـرُونُ
يـا رحمـة الله، سَـحًّا، لا انْقِطـاعَ لـهُ عَـلَى مَحَـلٍّ بِـه "سِـيدِيَّ" مَـدْفُونُ
عـلَى كـريمٍ، مـنَ الفِتْيَـانِ، مَنْظَـرُهُ كأَنَّـهُ لُؤْلـؤٌ- فِي البَيْـتِ- مَكْنُـونُ
فتًـى عقيـلٍ، جَـوَادُ، كامـلٌ أدَبًـا سَـمْحُ الخَلاَئِـقِ، مَـأمُونٌ، وميْمـونُ
يُـولِي الصَّـدِيقَ جَمِيعًـا مَـا يُـسَرُّ بِـهِ وذُو عَداوَتِـهِ فِي النـاسِ مَحْـزُونُ
للمُعْتَفِـينَ وَهُـوبٌ كُلَّـمَا سَـأَلُوا إعْطـاؤُه لُهُـمُ فـرْضٌ، ومَسْـنُونُ
للمُسْـتَجيرِ مُجِـيرٌ، طُـولَ مُدَّتِـهِ -ممَّـا يخَـافُ- ومَـا عَلَيْـهِ مَمْنُـونُ
بَـرٌّ بِوَالِـدَةٍ، كـانَ المُعِـينَ لَهَـا على نوائِب الدهْر، والشيْطانُ مَلْعُـونُ
أعْظِمْ لنـا- رَبَّنَـا- أجْـرَ المُصَـابِ بِـهِ يـوْمَ الحِسَـابِ، إذا المَـوْزُونُ مَـوْزُونُ
صَـلَّى عَلَيْـهِ إلـهُ العَـرْشِ..... وما حَوَى الكافُ، ثُمَّ الفاءُ، والنـونُ[2]

وعندما تبعه أخوه "محمد" المعروف ب "ول الدامي"، نسبة إلىٰ الشيخ أحمد بن أدب؛ الملقب "الدامي"، قالت:

[1]- **المرملات**: الفقيرات اللواتي لا كافل لهن - **البَثّ**: الشكوىٰ - **آس**: طبيب.
[2]- **سُحِّي**: من سح الدمع إذا سال وانسكب - **المُعْتَفِينَ**: الطالبين للمعروف.

عَفَـا اللهُ عـنْ قَـرْمٍ تَضَـمَّنَهُ النَّـبْطُ وجادَ له بالبَسْـط، مَـنْ عِنْـدَهُ البَسْـطُ
وثَقَّـلَ، في المِيـزانِ، وزْنَ فِعَالِـهِ إذا وُضِعَتْ- يوْما- مَوازينُها القِسْـطُ

وحين تعاودها ذكرىٰ ثكلها لابنيِّها، وأكابر ذويها، تَتَنَهَّدُ، قائلة:

هَاجَ الهواجسَ- تـرْدادَ اللّحَيْظـاتِ- ربْـعٌ، تقـادَمَ، مِهْـراقُ العُبَـيْرَاتِ
كانـتْ مُحادَثـةُ الخِـلَّانِ تُسْـعُدِنِي ولا أُفَـارِقُهمْ، يَـوْمي، ولـيْلَاتي
فـذي منـازلُهُمْ والشَّـمْلُ مُنْـتَظِمٌ وذي دِيَـارُهُمُ أَتَـاهمُ الآتي
تلـك السـبيلُ، وأمْـرُ اللهِ حَكَّمَـهُ منْ قبْلِهِمْ قد خلتْ قَـوْمُ الرِّسالات
فاقْنَعْ بما صنعتْ تلكَ الديـار- وقَـلْ لله مَـا حَـلَّ فِي تِلـك الـدُّويْراتِ
مَـضَى النَّبِـيُّ وكـلٌّ بَعْـدَهُ فنَـدٌ لـولا التَّسَـلِّي بِـهِ جَلَّـتْ مُصِـيباتِي[1]

وهي بحكم تربيتها الدينية، وإيمانها العميق، الملاحظ، في تسلِّيها عن مصائبها بموت النبي صلىٰ الله عليه وسلم، كانت تدرك أن معاودة ذكريات فجائعها، التي تلح علىٰ روحها- مهْما تطاولَ الزمَنُ- هي وساوس وهواجس شيطانية، يريد بها اللعين المَرِيد نقْضَ عُرَىٰ صبْرها، وتسْليمها، فتقول:

نَـمَّ اللعـينُ عـلى قلْبـي ليُغْرِينِـي فَـذَرَّفَتْ دمْعَهـا عَيْنَـايَ في الحِـينِ
وجدْتُ دمْعًا مَصُـونًا كنْـتُ أمْسِـكُهُ وكُلَّمَا رُمْـتُ حـبْسَ الـدمْعِ يَعْصِـينِي
إنِّي نَظـرتُ، وفي الأيـامِ مَعْجَبَـةٌ دَارَ الحَبيـبِ هَـوًى فِيهَـا يُنـاجِينِي
هو الأديبُ الأريبُ الـمُرْتَضَى خُلُقًـا لَّا مَضى قـدْ مَـضَى بـالعِلْمِ والـدِّينِ[2]

---

[1]- **مِهْراقُ**: صيغة مبالغة من أهرق أي أسال - **العُبَيْرَات**: تصغير عبرات وهي الدموع – **فنَد**: خطأ في الرأي والقول.

[2]- **الأريبُ**: صاحب الذكاء والفطنة.

وتمهيدا للتنقل بين وجهي الحياة: البكاء، والغناء، تضع الشاعرة هذين البيتين جسرا بين العدوتين:

خَــلِّ الليــالِيَ إنْ زارَتْــكَ أكْــدَارُ واصْـبِرْ لهـا.. عَلَّهَـا .. فالـدَّهْرُ دَوَّارُ
لا بُـدَّ مِـنْ فَـرَحٍ يَوْمًـا، ومِـنْ تَـرَحٍ فشِــيمَةُ الــدَّهْرِ: إحْــلَاءٌ وإمْــرَارُ

2- الغناء

نعم، من طبيعة الحياة أنْ لا تسير على وتيرة واحدة، وكذلك الإنسان باعتباره أحد العناصر الداخلة فيها، والمتفاعلة معها، وهذا ما قررته هذه الشاعرة في بيتيها السابقين:

وهكذا لم تكن حياة هذه الشاعرة حزنا أسود سرمديا، وإنما كانت فيها لحظات فرح وإشراق تبدد دياجي ذلك الظلام، وقد حرصت الشاعرة على التعبير عن طبيعة تجربتها الشعرية، في حالتيْها، بكل عفوية، فهي سليلة **"أهل آدب"**، الذين قال عنهم: محمد عبد الله **بن عبيد الرحمن** العلوي، في **رثائه للشيخ أحمد** بن آدب:

أولئــك قــوْمٌ كلَّهــم- فِي نَدِيِّــه- أمــــيرٌ، وفي مِحْرَابِــــه مُتَعَبِّــــدُ

ولعل بن عبيد الرحمن العلوي يستحضر هنا قول معاوية، حين نقمت عليه زوجته، عقد عبد الله بن جعفر لمجالس الطرب والسماع، في أحد أجنحة دار الإمارة، عندما نزل ضيفا على معاوية، بدمشق، فكان معاوية، إذا انفضَّ السامر، وقام عبد الله بن جعفر في محرابه يتهجد، ويرتل القرآن ترتيلا، يوقظها قائلا: "اسمعي مكان ما أسمعتني، هؤلاء قومي؛ ملوك بالنهار، رهبان بالليل"[1].

[1]- الأبشيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، 1/ 395.

فأهل آدب كانوا- غالبا-حجازيو المنزع، على مذهب عبد الله بن جعفر، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فالأول ربط مشروعية سماعه الغناء، بجمالية البواعث النفسية الأخلاقية المترتبة عن جمالية المسموع؛ "كلماتٍ وأنغاما"، حيث قال لمعاوية بن أبي سفيان عندما سأله: (لو حرَّكْتَ رأسك يا ابن جعفر؟ فقال: أريحية أجدها-يا أمير المؤمنين- لو لقيتُ لأَبْلَيْتُ، ولو سُئِلْتُ لأَعْطَيْتُ"[1].

ومعاوية- كذلك - عندما سأله عبد الله بن جعفر لماذا هزَّ رجْله في مجلس الطرب نفسه، قال: "كلُّ كريمٍ طروب"[2].

فعمُّ الشاعرة الشيخ أحمد بن آدب، يربط- هو الآخر- بين الطرب، والكرم، والأدب، فيقول لإحدى صواحبه:

سَـلِي -مَـيّ- السّـنِينَ الغُـبْرَ عنِّـي لـدَى عَـضِّ السِّـنِينَ بِكُـلِّ سِـنِّ
سَـلِي الأمْـوالَ تُفْصِـح -وَيْـكِ- أنِّي أهنْـتُ خِيَارَهـا، مَـا إنْ تُهِنِّـي
سَـلِي الأشْـعارَ، والسُّـمَّارَ وهْنـا سَلِي "تَنْدَيْنَ"- مَيّ- سَلِي "تَـدَنِّ"
سَـلِي يُخْـبِرْكِ عَنِّـي الكُـلُّ كُـلَّا بـذاكَ، وغـيْرَ ذاكَ فـلَا تَظُنِّـي

وحتى بعد، مشيخته، وتكاثر مُريدِيه حوْله، وانتشارهم في مختلف الفضاءات الاجتماعية، في مُجْمَل تكَانت، والبراكنة، والحوضين أساسا، كان ينفر من الرياء، والتظاهر بالتدين المبالغ فيه، وتكلف الزهد والدروشة، ويحافظ على بقية فتوة، يهش صاحبها، لمجالس "الأشعار والسُّمَّار"، وسماع دنْدَنات المُطربين "المُهَذَّبَة"، ومعاقرة كؤوس الشاي المعتقة، دون أن يفقد وقاره، ولا أمله في مغفرة الله، قياسا على صاحب المدفع الذي توكل على الله، ثم أطلق على نسفه رصاصة فلم يمت، حسب الرواية الشعبية المأثورة، وعلى ذلك يقول الشيخ أحمد:

---

[1]- الأبشيهي: **المستطرف**، مرجع سابق، ص 395.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

وشَـــايٍ بـــماءٍ رَنَّحَتْـــه غمامـــةُ ... عـلى كـلِّ كَـأْسٍ منْـه تبْـدو عمَامَـةُ
وبـ "الوَنْدَرِيزِ" الصِّرْفِ أتْقَنَ مزْجَه ... معَ "التَّلْجِ" مَنْ راقتْ لدَيْـهِ الإقامَـةُ
وشـــادٍ بإنْشـــادٍ لشِـــعْرٍ مُهَـــذَّبٍ ... بمجْلـسِ أنْـسٍ لـيْس فيـه سَـآمَةُ
يميـلُ إلى وصْـفْ القُـدُود.. وتـارة ... لوصْـفِ خُـدودٍ قـدْ علتْهـا القَسَـامَةُ
وبعـدُ، مـنَ الـرحْمن نرْجـو سَـلَامَة ... فـذو المـدْفعِ المـاضي أتَتْـهُ السَّـلامَة[1]

وفي هذا السياق يداعب أكبر مُرِيدِيه العالِم الورع: **الجيلي بن أحمد انبسيف**، زاعما أن المريد أكثر مجاهدة ومكابدة من الشيخ نفسه، الذي لا يريد أن يتظاهر للناس إلا بالفتوة والتبسط، والانهماك في "الإمتاع والمؤانسة"، تاركا ما بينه وبين الله سرا وخبيئة، لا يعلنهما أبدا، فيقول له:

أضَـعْتَ مَجَالِسـي، مُـذْ غِبْـتَ عَنِّـي ... تُعَـانِي- فِي القَـرَاءَةِ- مَـا تُعَـانِي
عليْهـا صرْتَ مُعْتكِفًـا، فطـوْرا ... عـلى النَّـوَوِيِّ، ثُـمَّ القسْـطَلَانِي
.... ورَنَّـاتِ المَثالِـثِ، والمَثَـانِي
على حسْو الكُؤوس، أقمـتُ دَهْـري ... وشَدْوِ "ابْرَيْكَه"، مـعْ ذاتِ الـدُّخَان

وهنا أيضا يقول مُتَقَصِّدًا تجنيسَ القوافي، ولزُومَ ما لا يلزمُ فيها، مع استخدام فنِّ **"الزريگة"** الشعري المحلي[2]:

هل من كَمِيٍّ "يُكَمِّي" مذْنفا "تاري" ... لاقـى الهمـوم بأشـفاع وأوتـار
ولا مُـؤَنِّس يلْقـاهُ يُؤنِّسـه ... لا مـن قـريضٍ، ولا تحْريـك أوْتـار؟

ويجدر بالملاحظة هنا أن الشيخ أحمد بن آدب، لم يحاول تقمص دعاوى بعض شيوخ المتصوفة، ومُريديهم، لتبرير أفعالهم الظاهرة المُؤَهِّلَةِ للمُؤاخَذَةِ، بأنَّها

[1]- **القَسَامَةُ**: الحسن والجمال.

[2]- الزريگة بكاف معقودة، تنوب عن القاف، هو شعر موريتاني محلي مهجَّن بين ألفاظ العربية الفصيحة، وألفاظ الحسانية الدارجة.

"مصْروفةٌ عن ظاهِرها"، وإنما كان كما يبدو حجازي المذهب في الغناء، حزمي النظر الفقهي، فابن حزم يختصر الجدل المثار حول حرمة الغناء وإباحته، بأن كل أدلته "صحيحها غير صريح، وصريحها غير صحيح"[1].

ويبدو أن **شاعرتنا خديجة**، كنت تتذكر بعض تلك المجالس الجامعة بين الطرب، والشاي، والأدب حينا، وبين العلم والذكر حينا آخر، عبر جدلية "السلوىٰ والتقوىٰ"، "ساعة وساعة"، حيث تقول:

أغْرَى الفُؤادَ بشـوْقٍ شـاعَ في النَّـات ... بعْضُ النُّغَيْمَاتِ من إحْـدَى القُيَيْنـاتِ
فاهْتـاجَ للـدَّنفِ العـانِي بـهِ وَلَـهٌ ... ما اهْتاجَ من سِـاجِعٍ، يَبْكِـي ببَانـاتِ
هـذا بمجْلِـسِ أُنْـسٍ، دارَ فِيـهِ، وقـدْ ... دارَ النسـيمُ، بكاسـاتٍ وكاسـاتِ
مـنْ بعْـدما كـانَ- للـرحْمن- تعقـده ... في حُسْـنِ سرْدِ أحاديـثٍ، وآيـاتِ
كمْ فيهِ من طرَبٍ، يُفْضـي إلى طرَبٍ ... حُسْـنًا، ولـذَّةِ عـيْنِ الـذاتِ بالـذاتِ
فهاجَ ما هـاجَ ممَّـا قـدْ مَـضَى، وفنـى ... في سالفِ الدهْرِ من برْحِ الصـباباتِ[2]

وتقول مشيدة بغناء المطرب الشهير سيدات بن آبَّ، الذي يعيد إليها ادّكار معْهد الشباب، والأهل:

هـيَّجَ الشـوْقَ للْفُـؤادِ "سِـدَاتِ" ... بَعْـدَ شَـيْبِي، وغُرْبَتِـي عـنْ بَنَـاتِي
هيَّجَـتْ، لِي، يَنَـابِعَ الشَّـوْقِ، مِنْـهُ ... نَغَـمَاتٌ؛ تُـذِيبُ صُـمَّ الصَّـفَاةِ
لا يُبَـارَى، ولَا يُجَـارَى، بِشَـدْوٍ ... وَحَيَـاءٍ، وَرِفْعَـةٍ، وَثَبَـات
إنَّ للشَّـاعِرِ الشَّـهِيرِ "سِـدَاتِي" ... نغَـمَاتٍ جَلَّـتْ عـنِ الـنَّغَمَاتِ

---

[1]- خلاصة رأي ابن حزم: المحلىٰ، دار الفكر، بيروت، ج 7، ص 550-571.

[2]- **شاعَ**: ظهر وانتشر – **الدَّنف**: المتهالك في حبه حتىٰ مرض – **صبابات**: جمع صبابة وهي حرارة الشوق.

إنَّ شَـدْوًا سَـمِعْتُهُ مِـنْ "سِـدَاتِ" لُقِيـلٌ مِـنْ عَثْـرَةِ الـحَسَرَاتِ![1]

وحتىٰ لو غاب عنها هذا المطرب، أو غابت عنه، فإنها تتذكره، وتشتاق مجالس سمره:

حَـنَّ الفُـؤادُ إلَى لُقْيَـا الفَتَـى النّبِـهِ رأسِ الشّـدَاةِ، ومُقْـرِي مَـنْ ألَمَّ بِـهِ
إذا شَـدَا هُـدِيتْ مِـنْ كُـلِّ وُجْهَتِـهِ أهْلُ التُّقَا والشَّـقَا والرُّشْـدِ والسَّـفَهِ[2]

فغناء هذا الفنان-حسب ما يبدو- ينسجم -ضمن تلقيه- (أَهْلُ التُّقَا والشَّقَا والرُّشْدِ والسَّفَهِ)، فتتحد التناقضات، حيث إن فلسفة القوم في السماع تنطلق من مسلمة لديهم تزعم أن الغناء "يهيج ما في النفس"، و"كل إناء بالذي فيه يرشح"، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، وهم يعتقدون أنه لا يبعثهم إلا علىٰ طيب الادِّكار، وعميق الاعتبار، وتعزيز أريحة الأخيار، علىٰ مذهب عبد الله بن جعفر السابق الذكر

إن **خديجة بنت آدب**، كانت **سيدة مجتمع**، يذكرنا مجلسها المتنوع الفوائد، والإمتاع والمؤانسة، بمجلس سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، فهي دائما تستعيد بعض تلك اللحظات الجميلة الهاربة، كما هو الحال في هذه الأبيات المُوَشَّاة بألفاظ حسانية علىٰ نهج المدرسة الشعبية التي تسمىٰ: الزريگة[3] في الشعر الموريتاني:

مِـنَ الخَمْـرِ أيَّـامُ أحِلّـتْ لنَـا شَرْعَـا وقد مُنِعَـتْ للغَـيْرِ، يـا عجَبًـا، مَنْعَـا
يُعَلِّلُنَـا فِيهَـا "سِـدَاتِ" بِشَـدْوِهِ و"بالتِّيدِنِيتِ امَّلِّي"، يَا ليْتَ ذَا بضعا
صَـبَوْنَا بهَـا، واللهُ يَعْلَـمُ أنَّنَـا- من اللَّهْوِ، والأفْرَاحِ- "زَازَتْ بِنَا الطّلْعَا"

---

[1]- **الصَّفَاةِ**: الصخرة العظيمة الملساء.

[2]- **الشُّدَاةِ**: جمع الشادي وهو المطرب – **مُقْرِ**: اسم فاعل من أقرىٰ يقري، والمقري من يكرم الضيف.

[3]- فن شعري موريتاني تمتزج فيه الألفظ الحسانية الدارجة بالألفاظ العربية الفصيحة.

وفي بعض أبياتها تنهمك، في وصف أداء الفنان الأشهر: سيدات بن آب، في إحدىٰ تلك الجلسات، حركات وسكنات، وعزفا وغناء وتلحينا، وتأثيرا في المستمعين:

حَكَـى، وشـجَا، لَّـا شَـدَا، وتَـرَنَّمَا ... وأَنْعَـسَ أَيْقَاظًـا، وأَيْقَـظَ نُوَّمَـا
إذا رَدَّدَتْ أَلفَاظُـهُ اللَّحْـنَ مُعْرَبًـا ... أعـادتْ لنـا أَوْتـارُهُ اللَّحْـنَ مُعْجَـمَا
ورَدَّدَ شَطْرَ البَيْـتِ وانْحـازَ وانْحنَـى ... وفَصَّـحَ بالألفـاظِ مَـا كـانَ أَعْجَـمَا

وفي هذا السياق تقول أيضا:

مِنَ المَثالِـثِ، والمَثْنَـى لِـ "سِـيدَاتِي" ... غَنَّـى، ويَـا عَجَبَـا مِمَّـا بِـه يَـاتِي!
شَـدَا وأَنْهَلَنِـي عـذْبا وعَلَّلَنِـي ... وفِي تَعَلِّلِـهِ بُرْئِـي وعِـلَّاتِي
ورَنَّـمَ العُـودَ أَوْزانًـا يُهَمْهِمُهـا ... رَدّ الجَـوَابِ عـلَى حُسْـنِ النُّغَـيْمَاتِ[1]

ونظرا لمركزية الشاعرة، ومركزية أسرتها، وشهرتهم جميعا بالكرم والسيادة، كان من رواد مجلسها، أغلب مطربي مجتمعها، المعاصرين لها، حيث نجدها هنا تعبر عن انفعالها بغناء المطرب العظيم: أعل بن أيده، فتقول:

أَثْلَجْتَ قَلْبِـيَّ بِالتَّطْرِيـبِ يـا اعْـلَاتِي ... لَّـا شَـدَوْتَ بأَبْيَـاتٍ شَـهِيَّاتِ
هِـي المُنَـى عِنْـدَنا، مـا إنْ يُمَاثِلُهَـا ... فِي المُشْـتَهَى، غَـيْر أَخْـرَى دَاوُدِيَّـاتِ

وفي أبيات أخرىٰ تخاطبُ هذا الفنان، مُدَلِّلَةً إيَّاهُ بإضافةِ اسْمِهِ إليْها، واصفةً أداءَه:

منَ الطويلِ بدَتْ- مِـنْ فِيـكَ- أَبْيـاتُ ... يـ"اعْلَاتِ"، من حُسْنِهَا- فِي القلْبِ-آيَاتُ
رجَّعْـتَ أَلْحَانَهـا حُسْـنا عـلى طـرَبٍ ... والعُـودُ غنَّـى بهـا وزْنـا، و"رَدَّاتُ"
مـا صَـوْتُ دَاوُد يَحْكِيهَـا إذا هزِجَـتْ ... عليْـهِ مـن رَبِّـهِ الأعْـلى التَّحِيـاتُ

[1]- **عَلَّلَنِي**: سقاني سقيا بعد سقي – **يُهَمْهِمُهَا**: يجعل صوتها يتردد همهمات.

وفي ابنته: "سَكّتُ بنت أيده"، تقول:

لقد فازَ منْ كانتْ تُغَنِّي لهُ "سَكْتُ" تُــرَدِّدُ أبْيَاتًــا؛ عَــذَابٌ، وَجَنَّــةُ!
فيُصْمِيهِ مِـنْ لَحْـظِ العُيُـونِ شُـعَاعَهَا ويَسْـبِيهِ مِـنْ ظُـرْفِ اللِّسَـانِ حَـلَاوَةُ
وإنْ دَعَــتِ الأوْتــارَ طَــوْعَ يَمِينِهَــا أجَابَــتَ لَهَــا: سَــمْعًا، وَأمْـرُكِ طاعُـةُ
وهبَّــتْ، بتَــبْرِيحٍ، عَجَائــبُ جَمَّــةٌ فلِلــهِ أوْزانًــا كسَــتْهَا الطَّــلَاوَةُ[1]

ولم يتخلف عن مجلسها، وعن شعرها كل من أخوي سيدات بن آب: سدوم، والشيخ، ففي الأول تقول:

إذا مــا شَــدَا شَــادٍ ورَدَّدَ شَــدْوَهُ وكــادَ بــذاكَ الشَّــدْوِ يُــذْهِبُنِي نفْســا
يُــذَكِّرُنِي "سَــدُّومَ" فِي نَغَمَاتِــهِ: .....
تَرَاهُ بُعَيْـدَ النَّـوْمِ يُنْسِـيكَ "مَعْبَـدًا" ودَاوُد يَحْكِيــهِ، إذَا مــا بِنَــا أمْسَــى
ويَقْتَــلُ مــن يُحْيِــي بــإذْنِ الــذِي بِــه أفاقَ جَمِيـعَ الخَلْـقِ؛ ذَا الجِـنَّ والإِنْسَـا
فكيــف يُعــاصِي اللهَ فِي قتْــلِ مُسْــلِم وقد جاءَ فِي القرآن: "لا تَقْتُلُوا النَّفْسَا"

وللشيخ تقول، محتفية بكونه أول من جرَّبَ العزْف على القيثار:

لله قــد نبغــت للشــيخ قيثــار أنسـتك مـا بـك مـن شـاد، ومزمـار
ذاعت وقـال لسـان الحـال يسـعدني: قـد جـاوز الحـد مـا قالتـه أوتـاري[2]

---

[1] – **يُصْمِيهِ**: يصيبه.

[2] – **ذاعت**: شاعت وانتشرت.

سادســـا

شاعرة التوبة والدعاء

هذا موضوع مكين في نفوس **آل آدب**، حسب ما سميته: **"المقاومة الأخلاقية"**، في عنوان كتاب لي مستقل، حول هذا الملمح من أدبياتهم[1]، حيث ذكرت هناك ما ملخصه أن القوم أدركَوا – بتربيتهم الروحية العريقة – أنَّ معركة بناءِ الشخصية السَّوِيَّةِ، وتعزيز السلوك المستقيم، تبدأ من داخل كينونَة الإنسان، قبل أنْ تشرعَ أسلِحتها إلى الخارج/ إلى الآخر، وهكذا نجد **عبد القادر (آدب)** بن سيد الأمين، رب هذا البيت، يقدم نفسه لشيخه الشيخ سيدي، في مستهل رسالته إليه، باعتباره (ممَّن طغتْ به نفسُه فألقتْه في مَهَاوِي الضلال، وغَلَبَه شَيْطانُه فصَدَفَ به عن طريق الرِّجال أهْل الكمال)[2].

والحقيقة أن هذه **المقاومة الذاتية** في مجاهدة النفس، وترويض نوازعها، وتكييفها مع السلوك الأمثل، والخلق الأفضل، تصبح أصعب، حين يكون ميدانها الأرواح النزاعة إلى الفتوة، لا سيما بالنسبة لمَنْ تتركَّبُ نفْسِيتهم من نَوَازِع الشاعر العاشق- بفِطْرَتِه- للجَمَال، بكلّ تجلياته، ورَوَادِع العالِم الصُّوفيّ الناسِكِ، وعلى ضوْء هذا التحْليل كانتْ نُصوصُ عِتَابِ النفْس، وتأنِيب الضَّمير مَنْزَعا

[1]- أدي ولد آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020 م.

[2]- هارون بن الشيخ سيدي: **الأخبار** "المدون"، مسودة الجزء الخاص بكنته، ص 96.

حاضرا بقوَّة في مُدَوَّنَةِ القوْم، بمن فيهم **آدب نفسه**، وأبناؤه: **"سيدي، ومحمد لحوار، والشيخ أحمد"**، فوالدهم يقول:

ألا أيُّهـا العبْـدُ.. الكَسِـيرُ.. المَهِـيضُ ... ألمْ يَـانِ- بعْد الشيْبِ- منْكَ.. نُهُـوضُ؟!
ألمْ يَـانِ أنْ تسْـلُو.. ولِلـنَّفْسِ- بعْـدَما ... طغتْ، جَهْدَها، واستخْدَمَتْكَ- تَرُوضُ؟!
وتأخُذَ-منك- الجَهْدَ.. دَأبًا.. مُشَـمِّرًا ... ومَالكَ- في ليْلِ التَّمَـامِ- غُمُـوضُ!

و**"سيدي"**، يوجه أخاه: **الشيخ أحمد**: بـقصيدته التي تسمى: **"التربية"**، فِي أوْسَاطِ تَدَاوُلِهَا، وقد فعلتْ فعْلَها الخَارِق، فِي نفْسِيةِ **الشيخ أحمد**، وفِي سُلوكِه، يقول:

وحَاشَى.. ويَأبَى اللهُ.. تقليدَكَ الهَوَى ... وطَوْعَكَ قِتْلا، مُفْسِدًا، قَبْـلَ أنْ يُثْنَـى
فرُضْها، وذُدْها عنْ هواهـا.. وزَكِّهـا ... ولا تُعْطِها نَيْلًا.. تَنَلْ مَـا بـه تُعْنَـى!
لأنَّ بظَلْفِ النفْسِ.. عن شهواتِـــها ... يَنالُ الفَتى.. المَـأمُولَ -فِي الله- والأَمْـنا
ولا عِـزَّ.. إلا بَعْـــدَ إِذْلَالَ مُهْجَـــةٍ ... ولا رَاحَةٌ- دُونَ العَنَا- ثَمْرُهـا.. يُجْـنَى
فتلْكَ سَبـــيلُ الحق.. قامتْ بقوْمِهـا ... ومَنْ لمْ يُقِـمْها.. لا يُقِـــيمُ لَهُ وزْنـــا
وما حـــازَ قَصْـبَ السَّـبْقِ إلا مُشَـمِّرٌ ... قدَ آثرَ.. ما يبْـــقَى.. على كل ما يَفْنَى
وأَلْقَى حُظوظَ الـنَّفسِ، ظِهْرِيـةً.. ولمْ ... يعرِّجْ على كـــأسٍ.. سقتْه.. له.. وهْنا
وضـمَّرَ طِـرْفَ العـزْم، لمْ يـثْنِ طَرْفَـه ... إلَى غيْرِ مَطْلُوبٍ.. أمَامَ.. لَهَا اسْتدْنى[1]

وهكذا استتب **الشيخ أحمد**- بعْدَ هذه القَصِيدة - على طريق **"القوم"**، مرتقيا "في مَدَارج السالكين"، حتى أصبح وريث أخيه **"سيديّ"**، في المشيخة، وتصدير المريدين، جاعلا من عتاب النفس، موضوعا لجملة من نصوصه:

[1]- **ذُدْها**: ازجرها ورُدَّها. **رُضْها**: طوّعْها - **مُهْجَـة**: روح ونفس - **ظِهْرِيةً**: جعلها وراء ظهره كي ينساها.

منها قوله: من – بائية من البسيط

فِيمَ انْهِمَاكُكِ في اللـذاتِ، والطَّـرَبِ؟ إلَى مَتَـى أنْـتِ فِي لَهْـوٍ، وفي لَعِـبِ؟
يـراكِ مـوْلاكِ فـيما قـد نهـاكِ معـا أوبِي، أمَا لكِ معْ مـوْلاكِ مـنْ أدَبِ؟[1]

ويقول أيضا في ميمية من البسيط:

وابْكِ الشبابَ، ووصْلُ البِيضِ مَأْتَمُهُ أقِمْهُ – وَيْكَ- وَخَلِّ العَيْنَ مُنْسَـجِمَهْ
بل بالبكـاءِ أحَـقُّ الـذنْب، فابْـكِ لـهُ وعَـدِّ عـمَّا مـضَى، لا ترْتكِـبْ زِيَمَـهْ
نُـحْ نـوْحَ أمٍّ وَحِيـدٍ إذْ تصـابُ بـه ودَمْعكَ، الدَّهْرَ، منه اسْتَمْطِرَنْ دِيَمَـهْ
فـالعمْرُ ولَّى، وليْـلُ الجهْـلِ غيْهَبُـه عـاضَ البَصـيرَةَ مـن أنْوارِهـا ظُلَمَـهْ
أضـعتَ عمْـركَ، في غَـيٍّ، وفي سَـفَهٍ مَنْ ضَيَّعَ العُمْرَ فِي البُطْلَانِ قد ظَلَمَـهْ[2]

والحقيقة أنَّ هذا هو **الموضوع الأثيرُ** عند جميع أفراد **"بيْت الشعر"** هذا، **فمُحمد لحوار** بن آدبَّ، شقيقُ سابقيْه، يرفعُ أنَينَ روحه– في مَقام العُبودية ذاتِه– شاكيا إلى الله كثافة رَيْنِ الذنُوب، على مِرْآةِ نفْسِه، مُشْفِقا من هاجسِ القطيعةِ، عن لذيذِ صِلَتِه بربِّه:

عبْدٌ.. شَـجَاهُ.. لَمـا رَأَى.. مـن حالِـهِ حـذَرُ القطيعـةِ مـن لذيـذِ وِصـالِهِ
عبْدٌ.. تَرَاكـمَ.. مِنْ كَـثَافَةِ ريْـــنِه بحِجـاهُ.. جَالِـبُ حتْـفِه.. ووَبَـالِهِ
وبصَـدْرِه– ممَّـا يُجِـنُّ مِـنَ الأسَـى زَفَـرَاتُ ذِي فـزَعٍ، مَـرُوع، والِـهِ
فإذَا تَرَاكَمَـتِ الهُمُـــــومُ.. فحَسْبُه ربٌّ يَـرَى مَـا لا يُـرَى مـنْ حَالِـهِ[3]

---

[1] – **أوبِي**: عودي.

[2] – **دِيَمَهْ**: جمع ديمة. وهو المطر يدوم هطوله – **غيْهَبُه**: ظلامه – **عاضَ**: عاضه الشيء أي أعطاه عوضا وبديلا عنه.

[3] – **الرين**: الصدأ والدنس وما في معناهما – **بحِجاهُ**: بعقله.

وهكذا نجد شاعرتنا خديجة، يعتريها ذلك الإشفاق من الذنوب، فتسائل نفسها مؤنبة:

كيـــفَ حَـــالِي فِي ضَرِيحِـــي ... بعْـــدَ نصْـــبِ البَيِّنَـــاتِ؟
كيـــف هـــزِّي وسُـــؤالِي ... كيـــف ردُّ الكلِـــمَاتِ؟
كيـــف أخْـــذِي بِـــذُنُوبِي ... كيـــف هـــوْلُ الـــحَسَرَاتِ؟
ثَبِّتَنِّـــي في ضريحـــي ... واغفِـــرَنْ لِي سّـــيِّئاتي
أَقِلَنِّـــي مِـــنْ ذُنُـــوبِي ... يَـــا مُقِيـــلَ العَثَـــراتِ
أنـــا أتْلَفْـــتُ شَـــبابي ... في مَنَـــامِ الغَفَـــلَاتِ
فـــأغِثْنِي في مَشـــيبي ... قبْـــل فـــوْتي بـــالمَمَاتِ

وفي السياق نفسه تقول:

بِالله، نـفْسِي، ألا عُـوذي مـن ادْنـاس ... بـالله، واشْـتَغِلِي فِيـهِ عـنِ النـاسِ
فرَاجِعِي، وارْجِعِي، يَكْفِيكِ منِ عَبَثٍ ... فالشـيْبُ لاحَ.. ولا يُعْلَـقْ بإدْنـاسِ
لْهـوُ الحَبيـبِ بِـه سـمٌّ لصـاحِبِهِ ... غيْر التّقِيِّ.. فلا تصْحَبْ مـن النـاسِ
مَـا كنْـتِ فاعلَـةً يـا نفْـسُ فـادَّكِري ... رقيـبُ حَافِظُـهُ، ولـيس بالنـاسي

ثم تنخرط في محراب الدعاء متضرعة شعرا:

أسـتغفر الله ممـا لـيس يَرْضَـاهُ ... .
وَفِّقْ إذا حَشْرَجَتْ رُوحِي وإنْ ذهبتْ ... أَهْلِـمْ إذا سُـئِلَتْ يـا ربِّيَّ اللهُ
جِسْمِي وإنْ فَارَقَتْ رُوحِي جَوَارِحَـهُ ... اجْعَـلْ، بِـدَارِكَ؛ دَارِ الخُلْـدِ، مَثْـوَاهُ
لقـد دعَوْتُـكَ فِي ذلٍّ وَمَسْـكَنَةٍ ... وقـد ضَـمِنْتَ لَـنْ يَـدْعُوكَ سُـؤْلَاهُ
واجْعَـلْ لِخَـاتِمَتِي عِنايـةً سَـبَقَتْ ... بِجَـاهِ مـنْ عِنْـدَهُ، مِـنْ رَبِّـهِ، جَـاهُ
وصِـلْ صَـلَاتَكَ بِالآصَـالِ دَائِمَـةً ... عـلى الشَّـفِيعِ الـذي مَـوْلاهُ نَجَّـاهُ

التوجيه

الشاعرة خديجة بنت آدب سليلة مشيخة صوفية عريقة؛ تحب الجمال، وتخاف الله، ولذلك فهي- رغم نزعتها للفتوه- كانت بعض عناصر المجتمع تعتبرها فاتحة إسلامية وهادية مرشدة، بفعلها قبل قولها، فشاعرهم الشعبي **سيد احمد بن بوشيبة** يمدحها معتبرا إياها كأنما قد أدخلتهم الإسلام، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور، ففي إحدى زيارات خديجة لأهلها في **وادي النبط**، استقبلتها **فاطمة بنت الشاعر الكبير سيدي محمد بن القصري**، مرحبة بها:

نعـــرفْ عـــنَّ بعْـــد انْـــزدْنَ وانْـــزَدْنَ بالـــدِّين ولِـــيَمَانْ
بـــ خْدَيْجَـــه، وانْبَـــانُ عَـــدْنَ كـــاعْ الَّا اهـــلْ عبـــد الـــرحْمنْ.

فلما رجعت لحيِّها، وجاءتْ بالكاف/ "القاف"، تلقفه صديقها **سيد احمد بن بوشيبه**، معلنا إياها "شيخة"، مبرزا دورها التربوي، وتأثيرها الروحي، وإشعاعها الديني، وسخاءها في العطايا والهدايا، وشحذها الهمم، والمواهب الإبداعية في محيطها الذي يراها مرشدة عامة له:

مـــن قبـــل امْجيـــك أنَّ كـــنّ امْلانِـــينْ مـــن أهـــل السُّـــنَّ
يغـــير امْـــن امْجِيـــكْ انْعَـــنَّ وكـــرَّدْتِينَ رَجْـــل السَّـــبْحَانْ
وقْـــت المَعْـــطَ تعْطِـــيهَنَّ وانْـــزادْ الفَـــيْنَ مـــنْ لـــذْهَانْ
والمَقْصُـــود افْـــذ الِّ كَلْـــنَ احْـــنَ هَـــذُو عَـــنْ كـــلْ ازْمَـــانْ
نعـــرفْ عـــنَّ بعْـــد انْـــزدْنَ وانْـــزَدْنَ بالـــدِّين ولِـــيَمَانْ
بـــ خْدَيْجَـــه، وانْبَـــانُ عَـــدْنَ كـــاعْ الَّا اهـــلْ عبـــد الـــرحْمن

ولها مع صديقها هذا ومريدها مطراحات خفيفة ظريفة بالشعر الحساني، كل واحد منهما يلحن للآخر بعيب من عيوبه الجسدية الخاصة.

والواقع أن إشعاعها الروحي، كان امتداده داخليا قبل أن يتوسع خارجيا، فهي تنصح وتنذر عشيرتها الأقربين، بادئة بابنها محمد **"ول الدامي"** بن أحمد موسى، حيث تنصحه بطاعة الله، وبر والديه، قبل انقضاض شبح الموت الماثل نصب عيني هذه الوالدة، التي سبق أن ذاقت ثكل ابنها الآخر: **سيدي "أدي"**، بن أحمد موسى، وتجرَّعت فقد بعض الأقارب الأعزاء، فهي تقول:

مِنِّي لكَ النُّصْحُ، خُذْهُ، يَـا بُنَـيّ، فَـلَا ... تَعْصِ الإلـهَ، فـلَا تَعْـصِ الإلـهَ، فَـلَا
رَدِيــفُ رَبِّــكَ، لَا تَخْــتَرْ بِــهِ بَــدَلًا ... واحْمَـدْ غَوَائلَـهُ جـوْرًا.. وإنْ عَـدَلَا
واذْكُـرْ وَصِـيَّةَ مَـنْ أوْصَـاكَ بِـرَّهُمُ ... تَسْـلُكْ مَسَـالِكَ مـنْ أجَابَـهُ بِـبَلَا
احْذَرْ، وشَمِّرْ، وبَادِرْ، كـيْ تُرَضِّـيهُمْ ... يَـرْضَى الإلــهُ إذا رِضــاهُمُ حَصَــلَا
هــذَا المَنُــونُ الــذِي حَــقٌّ مَوَاعِــدُهُ ... مـــــــــن... التـــــــــي ...
رُكوبُك النَّعْشَ يُنْسِى- مَا حَيِيْتَ- هَوًى ... علَى العَبَنِّ، الذي يُــسْرِعْكَ إنْ ذَمَـلَا
هــذِي الدُّنَيَّــةُ- لا تَغْــرُرْكَ- فَانِيــةٌ ... كانْتْ مَواعِيـدُ عرْقُـوبٍ لَهَـا مَـثَلَا"[1]

وهنا تُوَجِّه حفيدتها، موصية إياها بالتزام التوبة والرجوع إلى الله:

لقدْ كنْتِ فِي جَـوْرٍ عـن اللهِ مُرْشِـدِي ... وخُضْتِ مَسَـالِيكَ المَضَـاحِكِ والـدَّدِ
وخُضْـتِ مَسَـالِيكِ السِّـمَاكَيْنِ قبْضَـةً ... وعُـدْتِ، بحمْـدِ اللهَ، فـاللهَ فاعْبُـدِي
وخَافِي عِقَـابَ اللهِ، يَـا "مِيمِـي" إنَّـهُ ... أمَامَ، وخَلْفَ المَـرْءِ، فِي كُـلِّ مَرْصَـدِ[2]

---

[1]- **العَبَنّ**: جمل عبن ضخم الجسم – **ذَمَلَا**: سار سيرا سريعا لينا.

[2]- **السِّمَاكان**: نجمان نيران.

سابعـــا

خلاصات خاطفة

– خديجة بنت سيدي بن آدب وريثة تلك السلالة الشعرية بامتياز، تعرض شعرها بالفصيح والحساني – عبر سيرورة الزمن– للضياع، من خلال هشاشة الذاكرة الشعبية حينا، وضعف الرواية حينا آخر، إضافة إلى تكاسل الأهل عن مبادرة جمعه، وتدوينه، ورغم ذلك تداركنا مجرد "بقايا من بقاياه" تقع في 112 بيتا – تتوزع بين حوالي ثلاثين نصا صغيرا، بلغ أطولها 10 أبيات، وأقلها بيتين.

– ورغم تغليب طرف الوهبي، على طرف الكسبي، في تكوين خلفيتها الثقافية، فإن في شعرها من الإحلات والمُنَاصَّات، ما يوحي، برصيد لا بأس به من ثروة اللغة العربية، حيث وجدناها تستخدم بعض الغريب، مثل "النات" بالتاء ، بدل الناس بالسين، مراعاة لما يقتضيه إيقاع التصريع، في مطالع القصائد، إضافة للمهراق، والهواجس، ومن رواشح ثقافتها الدينية العميقة تكنيتها عن الوالدين، بـ "رديف ربك"، في مجال حقوقهما، والبر بهما، كما رأيناها تقتبس من القرآن في تحريم القتل، ولو بالطرب،: "لاتقتلوا النفسا"، وتتحدث عن مجالس كانت مدارا لـ "سرد أحاديث وآيات"، كما تتحدث هنا أيضا– بخطاب صوفي– عن "لذة عين الذات بالذات"، وفي مجال شعرها الغنائي، تستحضر النغمات "المَعْبَدِيّاتِ"، نسبة لمعبد المغنى الحجازي الأشهر، كما تستحضر الألحان "الداوديات"، مصلية على صاحب الزبور، والمزمور، إضافة إلى مصطلحي "المثالث والمثاني" الموسيقيين، ويظهر التناصُّ الشعري مع الحطيئة في استخدامها

في المدح صفتي: "المطعم الكاسي"، مع صرفها لها عن المعنى القدحي، كما تناصَّت مع المتنبي في: "تذكَّرتُ ما بيْنَ العُذيْب وبارقِ"، وتناصت مع الشاعر الشنقيطي محمد بن محمدي العلوي، في قولها "لا يعلق بإدناس".

- وكما توزعت حياة الشاعرة بين فضاءاتها الاجتماعية، ومجالاتها الجغرافية، توزعت كذلك تجربتها الشعرية بين عدة أغراض هيمن عليها غرضا الرثاء والغناء، باعتبارهما تجليين لوجهي الحياة؛ "فشيمةُ الدَّهْر: إحْلاءٌ، وإمْرارُ.

- وتناغما مع ذلك كله توزعت هذه التجربة الشعرية، في إطارها الإيقاعي، بين حوالي ستة بحور شعرية، أربعة منها من مشاهير البحور الجزلة في الذائقة العربية عبر التاريخ: تربَّعَ البسيط، على قمتها، مستحوذا على 17 نصا، وجاءت مدونته في 65 بيتا، حيث ناهز نصيبه الثلثين من مجمل النصوص، ومجمل الأبيات، بينما جاء بحر الطويل في الرتبة الثانية، بنسبة 6 نصوص، و18 بيتا، في الوقت الذي جاء الخفيف في الرتبة الثالثة بنسبة نصين، وثمانية أبيات، وتلاه الرمل المجزوء في الرتبة الرابعة بنسبة 7 أبيات في نص واحد، بينما حل الكامل آخر هذه البحور الأصيلة بنسبة 6 أبيات في نصين. أما الوزن السادس، فكان على إيقاع أحد أوزان الشعر الحساني/ الشعبي؛ يسمى: "حثو الجراد"، هو الذي نظم عليه الشاعر الشيخ محمد اليدالي، مديحيته المشهورة المسمَّاة: "صلاة ربي"[1] ومن أطرف ما يلاحظ هنا أن خديجة بنت آدب قد أنفت، و"تَكَنْتَتْ" عن ركوب بحر "الرجز" / "حمار الشعراء"، والشاعرات خاصة.

- وفي إطار موسيقى القوافي، عزفت الشاعرة إيقاعات الروي لديها على أوتار 12 حرفا، مناهزة نصف عدد حروف الأبجدية العربية، وهي - حسب ترتيبها الألفبائي-: التاء، والدال، والراء، والطاء، والسين، والعين، والقاف،

---

[1]-

صـــــــــــــــــلاة ربي مـــــــــــــع الســـــــــــــلام
عـــــــــــلى حبيـــــــــــب خـــــــــــير الأنـــــــــــام

واللام، والميم، والنون، والهاء والياء. ومعظمها من الحروف الأكثر ترددا في اللغة العربية وفي القوافي.

وقد استحوذت التاء على 38، بيتا؛ أي أكثر من مجمل ثلث المدونة، بينما كانت الطاء أقلها ورودا بنسبة بيتين فقط.

– وبإرجاع النظر النقدي كرتين في المعطيات الإحصائية السابقة يمكن استنتاج أن هيمنة إيقاع وزن البسيط على غيره من بحور مدونة الشاعرة ربما كان منسجما، مع كثافة تجربة الحزن التي يكتنزها غرض الرثاء، ومع روح "البسط" التي تطبع شعر خديجة الغنائي المنافس للشعر الرثائي عندها، باعتبارهما تجسيدين لجدلية القبض والبسط في حياتها. أما اعتمادها على مجزوء الرمل، المتسارعة "فاعلاته"، فهو يناسب لهفتها وقلقها على مصيرها في القبر، باعتبار خطى الحياة بدأت تتسارع إليه، مع تقدم العمر، وبعيدا عن الجدل الدائر بين المحدثين حول وعي الشاعر باختيار بحره، فنحن – مع إبراهيم أنيس– (نستطيع– ونحن مطمئنون – أن نقرر أن الشاعر– في حالة اليأس– يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع، يصب فيه– من أشجانه– ما يُنَفِّسُ عنه حزنه أو جزعه، فإذا قيل وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلَّبَ بحْرا قصيرا، يتلاءم وسرعة النفس، وازدياد النبضات القلبية)[1].

– أما هيمنة حرف التاء على إيقاع حروف الروي عند خديجة بنت آدب، فربما كان انسجاما مع بصمة تاء التأنيث الشعرية الكاتبة المكتوبة هنا، وخصوصا أن أكثرها جاء "بكسر التاء"، ولم تنس الشاعرة التاء المربوطة، استكمالا لنغمات العزف على وتر الأنوثة، كما أن حرف النون، استحوذ على 14 بيتا، ربما تعزيزا لـ"نون النسوة".

[1]– د. إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، دار القلم، 1972، ص 177.

– هذا في الوقت الذي مثلت نسبة الطاء – الأقل بين حروف الروي– حرص شاعرة وادي النبط، على إشراك اسمه المحبب المبارك لديها في إيقاعات رويها، ولو في بيتين فقط.

– أما استخدام الشاعرة لإيقاع وزن "حثو الجراد" الشعبي، فهو يمثل تجليا لنقطة الوصل بين طرفي ازدواجية خديجة بنت آدب بين الشعر الفصيح، والشعر الحساني، كما تجلى ذلك أيضا في نص من شعرها الغنائي، كان من فن "الزريگة"، الذي يعتبر أسلافها– من أبناء مُحمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفيين– هم الرواد الأقدمون له، حيث سجلنا ميلاد أول نص من هذا الفن الهجين بن الفصيح والدارجي/ "الحساني"، عند أحمد بن المختار بن مُحمد بن الطالب اعمر، وآخر عند ابن عمه عبد القادر "آدب" بن سيد الأمين بن مُحمد بن الطالب اعمر، جد الشاعرة ، وثالث ورابع عند عمها الشيخ أحمد، إضافة لرواد فن "الزريگة" المشهورين في منطقة "القبلة"[1].

وهكذا يبدو لنا من خلال هذه النماذج مدى تماسك هذه التجربة الشعرية الشعورية المغموطة حقها، والتي لما يتسعُ المقام للوقوف عندها مَلِيًّا بغية إيضاح بعض جوانبها، وتقييمها شكلا، ومضمونا، راجين أن يجد فيها القارئ والباحث – على علاتها– ما يفتح شهيتهما لارتياد آفاق ما تزال بكرا.

[1]– أدي ولد آدب: **أهل آدب سلالة الشعر وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط1، 2020م.

ثامنـــا

الـــديـــــوان

أولا

حرف التاء

1- من البسيط

هَاجَ الهواجسَ- تـرْدادَ اللَّحَيْظـاتِ- ... ربْـعٌ، تقـادَمَ، مِهْـراقُ العُبَـيْرَاتِ
كانـتْ مُحادَثـةُ الخِـلَّانِ تُسْـعُدِنِي ... ولا أفَـارِقُهمْ، يَـوْمي، ولـيْلَاتي
فـذي منـازلُهُمْ والشَّـمْلُ مُنْـتَظِمٌ ... وذي دِيَـارُهُمُ أتَـاهمُ الآتي
تلـك السـبيلُ، وأمْـرُ الله حَكَّمَـهُ ... منْ قبْلِهمْ قد خلتْ قَـوْمُ الرِّسالات
فاقْنَعْ بما صنعتْ تلكَ الديارَ- وقَـلْ: ... لله مَـا حَـلَّ فِي تِلـك الـدُّويْراتِ
مَـضَى النَّبِـيُّ وكـلٌّ بَعْـدَهُ فنَـدٌ ... لـولا التَّسَـلِّي بِـهِ جَلَّـتْ مُصِـيباتِي

2- من البسيط

أغْرَى الفُؤادَ بشـوْقٍ شـاعَ في النَّـات ... بعْضُ النُّغَيْمَاتِ من إحْـدَى القُيَيْنـاتِ
فاهْتـاجَ للـدَّنفِ العـانِي بـهِ وَلَـهٌ ... ما اهْتاجَ من سِـاجِعٍ، يَبْكِـي ببَانـاتِ
هـذا بمجْلِـسِ أُنْـسٍ، دارَ فِيـهِ، وقـدْ ... دارَ النسـيمُ، بكاسـاتٍ وكاسـاتِ
مـنْ بعْـدما كـانَ- للـرحْمن- تعقـده ... في حُسْـنِ سرْدِ أحاديـثٍ، وآيـاتِ

كمْ فيهِ من طرَبٍ، يُفْضي إلى طرَبٍ ... حُسْنًا، ولذَّةِ عيْنِ الذاتِ بالذاتِ
فهاجَ ما هاجَ ممَّا قدْ مَضَى، وفنى ... في سالفِ الدهْرِ من برْحِ الصباباتِ

3- من الخفيف

هيَّجَ الشوْقَ للْفُؤادِ "سِدَاتِ" ... بَعْدَ شَيْبِي، وغُرْبَتِي عنْ بَنَاتِي
هيَّجَتْ، لِي، يَنَابِعَ الشَّوْقِ، مِنْهُ ... نَغَمَاتٌ؛ تُذِيبُ صُمَّ الصَّفَاةِ
لا يُبَارَى، ولَا يُجَارَى، بِشَدْوٍ ... وَحَيَاءٍ، وَرِفْعَةٍ، وَثَبَاتِ
إنَّ للشَّاعِرِ الشَّهِيرِ "سِدَاتِي" ... نغَمَاتٍ جَلَّتْ عنِ النَّغَمَاتِ
إنَّ شَدْوًا سَمِعْتُهُ مِنْ "سِدَاتِ" ... لُقِيلٌ مِنْ عَثْرَةِ الحَسَرَاتِ!

4- من البسيط

مِنَ المَثالِثِ، والمَثْنَى لِـ "سِيدَاتِي" ... غَنَّى، ويَا عَجَبَا مِمَّا بِهِ يَاتِي!
شَدَا وأنْهَلَنِي عذْبا وعَلَّلَنِي ... وفِي تَعَلُّلِهِ بُرْئِي وعِلَّاتِي
ورَنَّمَ العُودَ أوْزانًا يُهَمْهِمُهَا ... رَدّ الجَوَابِ عَلَى حُسْنِ النُّغَيْمَاتِ

5- من الخفيف

إنَّ للشَّاعِرِ الشَّهِيرِ "سِدَاتِي" ... نغَمَاتٍ جَلَّتْ عنِ النَّغَمَاتِ
إنَّ شَدْوًا سَمِعْتُهُ من "سِدَاتِي" ... لُقِيلٌ مِنْ عَثْرَةِ الحَسَرَاتِ

6- من البسيط

أثْلَجْتَ قَلْبِيَّ بِالتَّطْرِيبِ يا اعْلَاتِي ... لَمَا شَدَوْتَ بأبْيَاتٍ شَهِيَّاتِ
هِي المُنَى عِنْدَنا، ما إنْ يُمَاثِلُهَا ... في المُشْتَهَى، غَيْر أخْرَى دَاوُدِيَّاتِ

7- من البسيط

منَ "الطويلِ" بدَتْ-مِنْ فِيكَ-أبْياتُ ... يـ"اعْلَاتِ"، من حُسْنِهَا- فِي القلْبِ-آيَاتُ
رجَّعْتَ أَلْحَانَهَا حُسْنا على طَرَبٍ ... والعُودُ غنَّى بها وزْنا، و"رَدَّاتُ"
ما صَوْتُ دَاوُد يَحْكِيهَا إذا هزِجَتْ ... عليْهِ من رَبِّهِ الأعْلى التَّحِياتُ

8- من الطويل

لقد فازَ منْ كانتْ تُغَنِّي لهُ سَكْتُ ... تُرَدِّدُ أبْيَاتًا؛ عَذَابٌ، وَجَنَّةُ!
يُصْمِيهِ مِنْ لَحْظِ العُيُونِ شُعَاعَهَا ... ويَسْبِيهِ مِنْ ظُرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةُ
وإنْ دَعَتِ الأوْتارَ طَوْعَ يَمِينِهَا ... أجَابَتَ لَهَا: سَمْعًا، وَأمْرُكِ طاعَةُ
وهبَّتْ، بتَبْرِيحٍ، عَجَائِبُ جَمَّةٌ ... فلِلهِ أوْزانًا كسَتْهَا الطَّلَاوَةُ

9- من مجزوء الرمل

كيفَ حَالِي فِي ضَرِيحِي ... بعْدَ نصْبِ البَيِّنَاتِ؟
كيف هزِّي وسُؤالِي ... كيف ردُّ الكلِمَاتِ؟
كيف أخْذِي بِذُنُوبِي ... كيف هَوْلُ الحَسَرَاتِ؟
ثَبِّتَنِّي في ضريحي ... واغفِرَنْ لِي سَيِّئاتي
أَقِلَنِّي مِنْ ذُنُوبِي ... يَا مُقِيلَ العَثَرَاتِ
أنا أتْلَفْتُ شَبابي ... في مَنَامِ الغَفَلَاتِ
فأغِثْنِي في مَشيبي ... قبْل فَوْتِي بالمَمَاتِ

ثانيــا

حرف الدال

من الطويل

لقدْ كنْتِ في جَـوْرٍ عـن اللهِ مُرْشِـدِي ... وخُضْتِ مَسَـالِيكَ المَضَـاحِكِ والـدَّدِ
وخُضْـتِ مَسَـالِيكِ السِّـمَاكَيْنِ قبْضَـةً ... وعُـدْتِ، بحمْـدِ اللهَ، فـاللهَ فاعْبُـدِي
وخَافِي عِقَـابَ اللهِ، يَـا "مِيمِـي" إنَّـهُ ... أمَامَ، وخَلْـفَ المَـرْءِ، في كُـلِّ مَرْصَـدِ

ثالثــا

حرف الراء

1- من الطويل

فللــهِ أيَّــامُ الحَــدَائِقِ والتَّمْــرِ ... مـن النَّـبْطِ، أيَّـامُ الـذَّبَائِحِ والنَّحْـرِ
لقــدْ خَصَّــهُ المَــوْلَى بأحْمَــدَ، شَــادَهُ ... وجَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ، يا لكَ مِنْ قَــصْر!

2- من البسيط

يا زائرَ "النَّبْطِ" إنْ تَلْمُـمْ بِـه سَـحَرًا ... سَلِّمْ، ولَا تَنْسَ حَرْفًـا فِيـهِ أوْ سَـطَرَا
قَــصْرُ المَكَــارِمِ، لا قــصْرٌ يُماثِلُــهُ ... أعْيَــتْ مَدَائِحُــهُ النُّثَّــارَ والشُّــعَرَا

3- من البسيط

يَــا وَادِيَّ النَّــبْطِ، لا غَبَّتْــكَ أمْطَــارُ ... وســاعَدَتْكَ مــنْ الوَسْــمِيِّ أنْهَــارُ
يا وَادِيَّ النَّبْطِ لَا شَـطَّتْ بِـكَ الـدَّارُ ... وحَلَّـكَ الخَـيْرُ إذْ حَلَّـتْ بِـكَ الـدَّارُ
دارٌ لأحْمَــدَ، لا زالَ المُنَــاخُ بِهَــا ... كَــما تُحَــطُّ ببَيْــتِ اللهِ أوْزارُ

4- من البسيط

خَــلِّ الليــالِيَ إنْ زارَتْــكَ أكْــدَارُ واصْـبِرَ لهـا.. عَلَّهَـا .. فالـدَّهْرُ دَوَّارُ
لا بُـدَّ مِـنْ فَـرَحٍ يَوْمًـا، ومِـنْ تَـرَحٍ فشِــيمَةُ الــدَّهْرِ: إحْــلَاءٌ، وإمْــرَارُ

رابعــا
حرف الطاء

من الطويل

عَفَـا اللهُ عــنْ قَـرْمٍ، تَضَــمَّنَهُ النَّـبْطُ وجادَ له بالبَسْـط، مَـنْ عِنْـدَهُ البَسْـطُ
وثَقَّــلَ- في المِيــزانِ- وزْنَ فِعَالِــهِ إذا وُضِعَتْ، يوْمـا مَوازينُهـا القِسْـطُ

خامســا
حرف السين

1- من البسيط

صَـبْرًا، فصَـبْرًا، فـمَا للبَـثِّ مـن آسِ إثْـر الـذِي شَـاءَهُ الفَعَّـالُ بالنَّـاسِ
حقَّ الثَّنَـاءُ عـلَى طلْـقِ اليَـدَيْنِ نـدًى مَنْ هـو للمُـرْمِلاتِ المُطْعِـمُ الكـاسِي
غوْث، زعِيم بنِي ذِي السَّيْف قاطِبـةً أهْلِ الفَضائلِ، في رُخْـصٍ، وإفْـلاسِ
لو كانَ يُفْدَى، بجَمْعِ الناسِ، ذُو كرَم يُفْدَى الفَتَى بجَميعِ الناسِ مـنْ بَـاسِ
أمْسَــتْ رَوَاسِي بِنَــاءِ المَجْــدِ وَاهِيــةً غَـدَاةَ مـا عِيـقَ عنْهَـا مَجْـدُهَا الـرَّاسي

2- من البسيط

بِالله، نفْسِي، ألا عُوذي مـن ادْنـاس ... بـالله، واشْـتَغِلي فِيـهِ عـنِ النـاسِ
فرَاجِعِي، وارْجِعِي، يَكْفِيكِ منِ عَبَثٍ ... فالشـيْبُ لاحَ.. ولا يُعْلَـقْ بإدْنـاسِ
لهْـوُ الحَبيـبِ بِـه سـمٌّ لصـاحِبِهِ ... غيْر التّقِيِّ.. فلا تصْحَبْ مـن النـاسِ
مَـا كنْـتِ فاعلَـةً يـا نفْـسُ فـادَّكِري ... رقيـبُ حَافِظُـهُ، ولـيس بالنـاسي

3- من الطويل

إذا مـا شَـدَا شَـادٍ ورَدَّدَ شَـدْوَهُ ... وكـادَ بـذاكَ الشَّـدْوِ يُـذْهِبُنِي نفْسـا
يُـذَكِّرُنِي "سَـدُّومَ" فِي نَغَمَاتِـهِ ... .
تَـرَاهُ بُعَيْـدَ النَّـوْمِ يُنْسِـيكَ "مَعْبَـدًا ... ودَاوُد يَحْكِيـهِ إذَا مـا بِنَـا أمْسَـى
ويَقْتَـلُ مـن يُحْيِـي بـإذْنِ الـذِي بِـه ... أفاقَ جَمِيـعَ الخَلْـقِ؛ ذَا الجِـنَّ والإِنْسَـا
فكيـف يُعـاصِي اللهَ فِي قتْـلِ مُسْـلِمٍ ... وقد جاءَ فِي القرآن: "لا تَقْتُلُوا النَّفْسَا"

سادسـا

حرف العين

من الطويل

مِـنَ الخَمْـرِ أيَّـامُ أحِلَّـتْ لنَـا شَرْعَـا ... وقـد مُنِعَـتْ للغَـيْرِ، ياعجَبًـا، مَنْعَـا
يُعَلِّلُنَـا فِيهَـا "سِـدَاتِ" بِشَـدْوِهِ ... و"بالتِّيدِنِيتِ امَّلِّي"، يَا ليْتَ ذَا بضعا
صَـبَوْنَا بهَـا واللهُ يَعْلَـمُ أنَّنَـا ... من اللَّهْوِ والأفْرَاحِ "زَازَتْ بِنَا الطّلْعَا"

سابعــا
حرف القاف

من الطويل

بِشَــاطِئِ ذاك النهْـر، حـوْلَ الحَـدائقِ ... ليَـــالٍ، قضـــيْناها بقـــوْمٍ لوَائـــقِ
وعَنَّـتْ مــن البَيْـتِ القَـديمِ حِكَايَـة ... "تذكَّرْتُ ما بـيْن العُـذَيْبِ وبَـارِقِ"
عَوَالِق مِنْ قلْبي لدَى النَّبْطِ ضُـمِّنَتْ ... فأنّى لِنَفْسِـي رَفْضُ تلـك العَوالِـقِ؟

ثامنــا
حرف اللام

من البسيط

مِنِّي لكَ النُّصْحُ، خُذْهُ، يَـا بُنَـيّ، فَـلَا ... تَعْصِ الإلـهَ، فـلَا تَعْـصِ الإلـهَ، فَـلَا
رَدِيــفُ رَبِّــكَ، لَا تَخْــتَرْ بِــهِ بَــدَلًا ... واحْمَـدْ غَوَائلَـهُ جْـوْرًا.. وإنْ عَـدَلَا
واذْكُـرْ وَصِـيَّةَ مَـنْ أوْصَـاكَ بِـرَّهُمُ ... تَسْــلُكْ مَسَــالِكَ مــنْ أجَابَــهُ بِــبَلَا
احْذَرْ، وشَمِّرْ، وبَادِرْ، كـيْ تُرَضِّـيهُمْ ... يَــرْضَى الإلــهُ إذا رِضــاهُمُ حَصَــلَا
هذَا المَنُـونُ الـذِي حَـقٌّ مَوَاعِـدُهُ مـن ... ... التـــــــــــــــــي ...
رُكوبُك النَّعْشَ يُنْسِى-مَاحَيِيْتَ- هَوًى ... علَى العَبَنِّ، الـذي يُسْرِـعْكَ إنْ ذَمَـلَا
هــذِي الدُّنَيَّــةُ- لا تَغْــرُرْكَ- فَانِيــةٌ ... كانْـتْ مَواعِيـدُ عرْقُـوبٍ لَهَـا مَـثَلَا"

تاسعـــا

حرف الميم

1-من البسيط

العِلْـــمُ والحِلْـــمُ والآدابُ والكـــرَمُ ... قـد حَـلَّ بـالنَّبْطِ مـنْ أرْبابِهـا عَلَـمُ

ماتَ العَفافُ ومـاتَ الجُـودُ - أجْمَعُـهُ ... بمـوْتِ حَـائِزِهِ، مُـذْ حَـازَهُ السَّـنَمُ

منْ بَعْدِهِ الأرْضُ أحْنَتْ ظَهْرَها ثَكَلًا ... واسْـتوْطنتْ بَطْنَهَـا الأقْـمَارُ والـنُّجُمُ

وأورثَ النَّـبْط منـه مَكَّـة بَـدلًا ... والبيْـت أورثـه والحِـلُّ والحُـرُمُ

ما بعْدَ رُزْءِ الجَليـلِ المُصْـطَفَى طمَـع ... بـأنْ تَنَـالَ البَقـا مـنْ بَعْـدِهِ نِسَـمُ

أعظْـمَ لنـا، رَبَّنَـا، أجْـرَ المُصَـابِ بِـهِ ... يـوْمَ الحِسَـابِ غَـدًا إنْ حُلِّـتِ الهِمَـمُ

2- من الطويل:

حَكَـى، وشـجَا، لَمَـا شَـدَا، وتَـرَنَّمَا ... وأنْعَـسَ أيْقَاظًـا، وأيْقَـظَ نُوَّمَـا

إذا رَدَّدَتْ الفَاظُـهُ اللَّحْـنَ مُعْرَبًـا ... أعـادتْ لنـا أوْتـارُهُ اللَّحْـنَ مُعْجَـمَا

ورَدَّدَ شَطْرَ البَيْـتِ وانْحـازَ وانْحنَـى ... وفَصَّـحَ بالألفـاظِ مَـا كـانَ أعْجَـمَا

3- من الكامل

طـرَقَ الفُـؤادَ؛ فعـاوَدتْ أسْـقامُهُ ... طيْـــفٌ ألَمَّ، وحبَّـــذَا إلْمَامُـــهُ

لَّـا رَمَـى جنْبـي الفـرَاشَ بنوْمـةٍ ... والليْـلُ مُعْتَكِـرٌ عـلَيَّ ظلَامُـهُ

جَـادتْ عـلَيَّ بِنَيْـلِ مـا لـوْ رُمْتُـهُ ... يقْظـانَ، مُنْتَبِهًـا، لَعَـزَّ مَرَامُـهُ

عاشـــرا
حرف النون

1- من البسيط

نَـــمَّ اللعـــينُ عـــلى قلْبـــي ليُغْرينِـــي ... فَـــذَرَّفَتْ دمْعَهـــا عَيْنَـــايَ في الحِـــينِ
وجدْتُ دمْعًا مَصُـونًا كنْـتُ أمْسِـكُهُ ... وكُلَّمَا رُمْـتُ حـبْسَ الـدمْعِ يَعْصِـينِي
إنِّي نَظـــرتُ، وفي الأيـــامِ مَعْجَبَـــةٌ ... دَارَ الحَبيـــبِ هَـــوًى فِيهَـــا يَنـــاجِينِي
هو الأديبُ الأريبُ الـمُرْتَضَى خُلُقًـا ... لَّامَـضى قـدْ مَـضَى بـالعِلْمِ والـدِّينِ

2- من البسيط

يَا رَحْمَـةَ الله، سُـحِّي، ثَـمَّ، وانْسَـكِبِي ... عليْـهِ، عفْـوًا، بِـهِ الرّضْـوَانُ مُقْـرُونُ
يـا رحمـة الله، سَـحًّا، لا انْقِطـاعَ لـهُ ... عَـلَى مَحَـلٍّ بِـه "سِـيدِيَّ" مَـدْفُونُ
عـلَى كـريمٍ، مـنَ الفِتْيَـانِ، مَنْظَـرُهُ ... كأَنَّـهُ لُؤْلُـؤٌ- فِي البَيْـتِ- مَكْنُـونُ
فتًـى عقيـلٍ، جَـوَادُ، كامـلٌ أدَبًـا ... سَـمْحُ الخَلَائِـقِ، مَـأمُونٌ، وميْمـونُ
يُـولِي الصَّـدِيقَ جَمِيعًـا مَـا يُـسَرُّ بِـهِ ... وذُو عَداوَتِـــهِ فِي النـــاسِ مَحْـــزُونُ
للمُعْتَفِـينَ وَهُـوبٌ كُلَّـمَا سَـأَلُوا ... إعْطـاؤُه لُهُـمُ فـرْضٌ، ومَسْـنُونُ
للمُسْـتَجيرِ مُجِـيرٌ، طُـولَ مُدَّتِـهِ ... -ممَّـا يخَـافُ- ومَـا عَلَيْـهِ مَمْنُـونُ
بَـرٌّ بِوَالِـدَةٍ، كـانَ المُعِـينَ لَهَـا ... على نوائِبِ الدهْرِ، والشيْطان مَلْعُـونُ
أعْظِمْ لنـا- رَبَّنَـا- أجْـرَ المُصَـابِ بِـهِ ... يـوْمَ الحِسَـابِ، إذا المَـوْزُونُ مَـوْزُونُ
صَـلَّى عَلَيْـهِ إلـهُ العَـرْشَ..... ... وما حَوَى الكافُ، ثُمَّ الفـاءُ، والنـونُ

الحادي عشر
حرف الـهـاء

1- من البسيط

حَـنَّ الفُـؤادُ إِلَى لُقْيَـا الفَتَـى النّبِـهِ رأسِ الشَّدَاةِ، ومُقْـرِي مَـنْ أَلَمَّ بِـهِ
إذا شَـدَا هُـدِيتْ مِـنْ كُـلِّ وُجْهَتِـهِ أَهْلُ التُّقَا والشَّقَا والرُّشْدِ والسَّـفَهِ

2- من البسيط

أســتغفر الله ممــا لــيس يَرْضَــاهُ .....
وَفِّقْ إذا حَشْرَجَتْ رُوحِي وإنْ ذهبتْ أَهْلِـمْ إذا سُـئِلَتْ يـا ربِّيَ اللهُ
جِسْمِي وإنْ فَارَقَتْ رُوحِي جَوَارِحَهُ اجْعَـلْ، بِـدَارِكَ؛ دَارِ الخُلْـدِ، مَثْـوَاهُ
لقـد دعَوْتُـكَ فِي ذلٍّ وَمَسْـكَنَةٍ وقـد ضَـمِنْتَ لَـنْ يَـدْعُوكَ سُـؤْلَاهُ
واجْعَـلْ لِخَـاتِمَتِي عِنايـةً سَـبَقَتْ بِجَـاهِ مـنْ عِنْـدَهُ، مِـنْ رَبِّـهِ، جَـاهُ
وصِـلْ صَـلَاتَكَ بِالآصَـالِ دَائِمَـةً عـلى الشَّـفِيعِ الـذي مَـوْلاهُ نَجَّـاهُ

الثاني عشر
حرف الياء

خُـذِ الزِّمَـامَ وقِـفْ وَحَـيِّ
واقْـرِ السَّـلَامَ عَـلَى انْكَـدَيِّ
حَـيِّ رُبَـاهُ وَالمَيْـثَ حَـيِّ
فـإنَّ ذاهُ مَمَـرُّ حَـيِّ

المؤلف في سطور

أدي ولد آدب – شاعر– وباحث موريتاني (دكتوراه في اللغة العربية والأدب).
له حوالي عشر مجموعات شعرية، نشرت منها وزارة الثقافة الجزائرية 2009م، ديواني:

1– **رحلة بين الحاء والباء.**

2– **تأبط أوراقا.**

3– **بصمة روحي**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2018.

ونشرت له بحوث ومقالات، كما نشرت له كتب:

1–**"الإيقاع في المقامات اللزومية للسرقسطي"**، نشرته دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، 2006م.

2–**"المفاضلات في الأدب الأندلسي/ الذهنية والأنساق"**، نشر 2015 من قبل المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.

3– **تأويل رؤياي: أطروحات صغيرة في الأدب والثقافة**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2019م، (يضم حوالي 150 مقالا).

وأخيرا سلسلة: **"أدبيات أهل آدب"**:

1– **أهل آدب: سلالة الشعر وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

2– **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

3– **سيدي ولد آدب: رمز الفتى الكنتي، فارس المدفع والقلم**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

4– **الشيخ أحمد بن آدب: شيخ المشايخ وقطب الشعراء**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

5- **خديجة "دَيَّه" بنت سيدي بن آدب: خنساء شنقيط**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2020.

وفي الأفق سلاسل أخرى، إن شاء الله.

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال
4/ 483 الوحدة الرابعة، الداوديات – مراكش – المغرب – 59 73 30 24 05